شرح الأرجوزة الميئية في ذكر حال أشرف البرية

للعلامة ابن أبي العز الحنفي
المتوفى سنة ٧٩٢ هـ

شرحها
عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

طبع على نفقة وقف
الشيخ / إبراهيم بن حمد الوقيصي
غفر الله له ولذريته ولجميع المسلمين

شرح الأرجوزة الميئية

في ذكر حال أشرف البرية

للعلامة ابن أبي العز الحنفي

المتوفى سنة ٧٩٢ هـ

شرحها

عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

شرح

الأرجوزة الميئية

في ذكر حال أشرف البرية

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

البدر، عبدالرزاق بن عبد المحسن العباد

شرح الأرجوزة الميئية في ذكر حال أشرف البرية للعلامة ابن أبي العز الحنفي المتوفى سنة ٧٩٢هـ / عبدالرزاق بن عبدالمحسن العباد البدر- الرياض ، ١٤٣١هـ

١١٢ص ؛ ١٧×٢٤سم

ردمك : ٩- ٦٤٧٧ - ٠٠ - ٦٠٣ - ٩٧٨

١ - السيرة النبوية أ. العنوان

ديوي ٢٣٩ ١٤٣١ / ٩٩٩٥

رقم الإيداع : ٩٩٩٥ / ١٤٣١

ردمك : ٩- ٦٤٧٧ - ٠٠ - ٦٠٣ - ٩٧٨

الطبعة الاولى

١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مقدمة الشرح

الحمد لله ربِّ العالمين، وأشهد أن لا إلٰـه إلَّا الله وحده لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمَّدًا عبدُه ورسولُه، صلَّى الله وسلَّم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أمَّا بعدُ..

فإنَّه لا يخفَى على كلِّ مسلم ما لدراسةِ سيرةِ النَّبيِّ ـ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ من فائدةٍ عظيمةٍ، وأثرٍ مبارَكٍ، وثمارٍ كبيرةٍ تعود على المسلم في دنياه وأُخراه.

وسيرتُهُ ـ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ هي أعطرُ سيرةٍ لأزكى العباد سريرةً، فهي سيرةُ إمام المتَّقين، وقدوة النَّاس أجمعين، وسيِّد ولد آدم أجمعين، صلواتُ الله وسلامُه عليه.

ودراسَةُ سيرتِه ﷺ هي دراسةُ سيرةِ مَنْ جعله الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ للعباد أُسْوةً؛ كما قال الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [سُورَةُ الأَحْزَابِ]، وهي تعمِّقُ محبَّته في القلب، وتوسِّع مساحتَها في الفُؤاد، وقد قال ـ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ

أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»[١]، ولها أثرٌ عظيمٌ على العبد في تحقيق الائتساءِ والاقتداءِ به ـ صلواتُ الله وسلامُه عليه ـ؛ لأنَّ الاقتداءَ به ـ صلواتُ الله وسلامُه عليه ـ فرعٌ عن العِلم بهَديه، والمعرفةِ بسيرتِه صلواتُ الله وسلامُه عليه.

ولقد كتبَ أهلُ العلم قديمًا وحديثًا، نثرًا ونظمًا، وبتوسُّع وباقتضاب في سيرتِه ﷺ كتاباتٍ نافعةً، ومؤلَّفاتٍ قيِّمةً.

ومن هـٰذه الكتابات: كتاباتٌ قُصِد فيها الاختِصار والإيجاز، وعدمُ التَّوسُّع والإطناب؛ لتكونَ مدخلًا ومفتاحًا للمبتدئ ليتوسَّع من خلالها في هـٰذا العِلم المبارَك.

وبَيْنَ أيدينا منظومةٌ نافعةٌ، وأرجوزةٌ طيِّبةٌ في سيرة نبيِّنا الكريم ـ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ سلكَ فيها ناظمُها مسلكَ الاختِصار وعدم البَسط والإطناب، فهي في مِائة بَيْتٍ فقط، بنَظْم سَلِسٍ، وأبياتٍ عذبةٍ، مستَوعبةً لكثيرٍ من أمَّهات موضوعات سيرة النَّبيِّ الكريم ـ صلواتُ الله وسلامُه عليه ـ، بعباراتٍ جميلةٍ، وكلماتٍ سهلةٍ، وألفاظٍ واضحةٍ، ، وقد قرأتُ هـٰذه المنظومة على الوالد ـ حفظه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ومتَّع به، ونفَع بعلمِه ـ فأعجبه كثيرًا استِيعابُها وسلاسَتُها، وجمالُ ألفاظِها وكلماتِها، وقال: «منظومةٌ جميلةٌ، ومستوعبةٌ مع وجازتها كثيرًا من أحداثِ السِّيرة»، وقد عُرفت بـ«الأُرجُوزة الميئيَّة»؛ لقَول ناظِمها رَحِمَهُ اللهُ في خاتمتِها:

وَتَمَّــتِ الأُرْجُــوزَةُ المِيئيَّــهْ   في ذِكْــرِ حَــالِ أَشْرَفِ البَرِيَّــهْ

---

(١) أخرجه البخاري: رقم (١٥)، ومسلم: رقم (٤٤)؛ من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وناظمُها عَلَمٌ من أعلام أهل السُّنَّة، وإمامٌ من أئمَّة أهل العِلم، معروفٌ بكتاباتِه القيِّمة، ومؤلَّفاتِه النَّافعة، ولاسيما كتابه الشَّهير «شرح العَقيدة الطَّحاوية»، وهو كتابٌ عظيمُ النَّفع، كبيرُ الفائدة[١].

وهو الإمامُ القاضي[٢] عليُّ بن عليِّ بن محمَّد بن أبي العزِّ الدِّمشقي الحَنَفي المتوفَّى سنة (٧٩٢) للهجرة.

وقد نشأ رَحِمَهُ اللَّهُ منذ صِغره نشأةً علميَّةً في بيتِ علمٍ ودينٍ وفضلٍ؛ فتربَّى على العلم، وحبِّ العلماء، وتلقِّي العِلم، واستفادَ منْ أئمَّة عصره ومحقِّقي زمانِه.

وممَّن استفاد منهم: الإمامُ ابنُ كثير رَحِمَهُ اللَّهُ، صاحبُ الكتابات المتينة المحقَّقة في السِّيرة والتَّاريخ، وقد استفاد منه ابنُ أبي العزِّ كثيرًا، ونقَل عنه في مواضع من «شرح العقيدة الطَّحاويَّة»، ويقولُ في كلِّ نقل: «شيخُنا الشَّيخ عماد الدِّين ابنُ كثير»[٣]، فهو تلقَّى عليه واستفاد منه، وما يبعُد أن تكون هـٰذه المنظومة خلاصةً لما كتبه ابنُ كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في سيرة الرَّسول ﷺ، وقد يُستَشفُّ هذا من قولِه في مطلعِها:

---

(١) وقد استفدتُ كثيرًا من كتابه هذا في بداياتي العلميَّة حيث كان مقرَّرًا علينا في السَّنة الثَّانية والثَّالثة من المرحلة الجامعيَّة، ولا أزال مستفيدًا منه بين وقتٍ وآخر، ولا أنقطع عن الرُّجوع إليه، فأرجو أن يكونَ في نشر منظومتِه هذه مضبوطةً مشروحةً شيءٌ من الوفاء لهذا الإمام الجليل، رحمه الله وأعلى في الجنَّة درجتَه.

(٢) تنظر ترجمته في «إنباء الغمر بأبناء العمر» (١/ ٤٠٩)، و«الدُّرر الكامنة» (٣/ ٨٧) لابن حجر، و«شذرات الذَّهب» لابن عماد الحنبلي (٨/ ٥٥٧)، ووقع اسمه في بعضها «محمَّد بن علي» وهو خطأ.

(٣) وهي ثلاث نقول (ص٢٧٧ ، ٤٨٠ ، ٦٠٣)، «شرح العقيدة الطَّحاوية في العقيدة السَّلفيَّة»، تحقيق: د.عبد الله التُّركي، وشعيب الأرنؤوط.

وَبَعْـــدُ هَـــاكَ سِـــيرَةَ الرَّسُـــولِ   مَنْظُومَـــةً مُـــوجَزَةَ الفُـــصُولِ

ومنَ المعلوم أنَّ شيخَه ابنَ كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ له في السِّيرة كتابٌ قيِّمٌ نافعٌ أسماه: «الفُصول في سيرة الرَّسول ﷺ».

وقد يسَّر الله لي الحصول على ثلاثِ نُسخٍ خطِّيَّةٍ لهذه المنظومة الثَّمينة:

الأولى: النُّسخة المصريَّة المحفوظة في «دار الكتب المصريَّة» ـ تحت رقم (٦٣١/ تاريخ تيمور)، ضمن كتاب «الغُرف العليَّة في تراجم متأخِّري الحنفيَّة» لشَمس الدِّين محمَّد بن علي بن أحمد المعروف بـ«ابن طُولون»، وهو ذيلٌ على «طبقات الحنفيَّة» لمحيي الدِّين عبد القادر بن محمَّد القرشيِّ الحنفيِّ، وهي تقعُ في الفصل الثَّالث من الفُصول الَّتي في أوَّل الكتاب.

وقد ساق ابن طُولون هذه الأرجُوزة بإسنادِه إلى ناظمِها، قال: «أخبرنا أبو العبَّاس أحمد بن أبي الصِّدق العمري من لفظه، أخبرتنا أمُّ أحمد أمَةُ اللَّطيف ابنةُ المُسْنِد شَمس الدِّين محمَّد بن محمَّد بن المحبِّ سماعًا عليها بمنزلها بجِسر البطِّ، أنا والدي من لفظه، أنا قاضي المسلمين الصَّدر علي بن علي بن أبي العزِّ بن عطاء سماعًا من لفظه بمسجد «ابن العَفيف فخر الدِّين» بالقُرب من «اليغموريَّة» بسَفح «قاسِيون» لنفسِه في مختصر السِّيرة النَّبويَّة، على صاحبها أفضل الصَّلاة وأتمُّ السَّلام، فقال مرتجزًا»؛ ثمَّ ساق النَّظم بتمامِه في ثلاث صفحات من (صفحة ١٠) إلى (صفحة ١٢).

وهي نسخةٌ متقنةٌ بخطِّ ابن طُولون نفسِه مع عنايةٍ منه بالضَّبط بالشَّكل لما هو محتاجٌ إلى ضبطٍ، وقد اعتبرتُها النُّسخة الأم.

الثَّانية:النُّسخة التُّركيَّة المحفوظة في «مكتبة الشَّهيد علي» ـ تحت رقم (١٩٢٤)، ضمن كتاب «الغُرف العليَّة في تراجم متأخِّري الحنفيَّة» المتقدِّم ذكره بالإسناد السَّابق نفسه، وذُكر النَّظم في خمس صفحاتٍ من (لوحة ٦) إلى (لوحة٨).

ورمزتُ لهذه النُّسخة بحرف «ت».

الثَّالثة: النُّسخة الدِّمشقيَّة المحفوظة في «دار الكتب الوطنيَّة» ـ تحت رقم (٥٢٦٤ ت ٤).

وقد ساقها ناسخُها بإسناده فقال: «أخبرنا الشَّيخ الإمام الوالد ـ حفظه الله تعالى ـ في عموم إجازته، قال: أخبرني كذلك والدي رَحِمَهُ اللَّهُ، قال: أخبرني كذلك شيخُنا العارف بالله عبد الغني النَّابلسي، قال: أخبرني كذلك والدي العِماد إسماعيل النَّابلسي، قال: أخبرني كذلك السِّراج عُمر القاري، قال: أخبرني كذلك أبو الفِداء إسماعيل النَّابلسي، قال: أخبرني كذلك مسنِدُ الشَّام الشَّمس محمَّد بن طُولون الحنفي الصَّالحي، قال في كتابه «الغُرف العليَّة في الذَّيل على طبقات الحنفيَّة»: أخبرنا أبو العبَّاس أحمد بن أبي الصِّدق العمري من لفظه...» بإسناده السَّابق إلى النَّاظم.

وهي تقع ضمن مجموعٍ في ثلاث لوحات من (لوحة ٢٣٢) إلى (لوحة ٢٣٤).

ورمزتُ لهذه النُّسخة بحرف «د».

وأثبت في الهامش ما وقع بين هاتين النُّسختين من فُروقاتٍ وبينَ النُّسخة الأم، وضبطتُ المنظومةَ كاملةً بالشَّكل مع إثبات ما ضبطَهُ ابنُ طولون منها في الغالب.

وقد كان شَرحي لهذه الأرجُوزة في أصلِه دروسًا تمَّ تفريغُها منَ الأشرطة، ثمَّ قمتُ بتنقيحِها وتهذيبِها بما تيسَّر والإضافة عليها، مع الإقرار بأنِّي لستُ من أهلِ هذا الشَّأنِ، ولا مِن فُرسان هذا الميدان، وبالله وحدَه التَّوفيق، وعليه عَزَّوَجَلَّ التُّكلان، الفاتِح لمن أمَّ بابَه طالبًا لمرضاتِه منَ الخير كلَّ باب، الهادي مَن يشاءُ سبيلَ الحقِّ والصَّواب.

وأسألُ اللهَ الكريمَ ربَّ العرشِ العظيم بأسمائه الحُسنى وصفاتِه العليا؛ أن ينفعَ بهٰذا النَّظم المبارك وشرحِه، وأن يجزيَ ناظمَه خيرَ الجَزاء، وأن يُثيبَ كلَّ مَن أعانَ على إخراج هذا الشَّرح وأصلِه برأيٍ أو تنقيحٍ أو تصحيحٍ أو غيرِ ذلك، إنَّه ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ سميعُ الدُّعاء، وهو أهلُ الرَّجاء، وهو حسْبُنا ونِعْمَ الوكيل[1].

وصلَّى الله وسلَّم على نبيِّنا محمَّد وعلى آله وصحبه، أزكَى صلواته وأفضلَ سلامه وأتمَّ تحياته.

وكتبه

عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

المدينة النَّبويَّة في يوم السَّبت ٨/ ١١/ ١٤٣١هـ

---

(١) وشكر اللهُ سعيَ الأخ الكريم الشَّيخ الدُّكتور محمَّد بن صالح البرَّاك في الحصول على النُّسخة الدِّمشقيَّة، والأخ الكريم الأستاذ خالد بن إبراهيم العبدالمحسن في الحصول على النُّسخة التُّركيَّة. والأخ الكريم الشَّيخ عبد العزيز بن مشاري الهزاني في الحصول على النُّسخة المصريَّة، وجعَل ذلكَ في موازين حسناتهم.

الأرجوزة الميئيّة في ذكر حال أشْرف البريّة(١)

لابن أبي العِزِّ الحنفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ

[١] الحمـــدُ للهِ القَـــديمِ البَـــارِي ... ثُـــمَّ صَـــلاتُهُ عَلَـــى المختَـــارِ

[٢] وَبَعْـــدُ هَـــاكَ سِـــيرَةَ الرَّسُـــولِ ... مَنْظُومَـــةً مُـــوجَزَةَ الفُـــصُولِ

[٣] مولِـــدُهُ فِي عاشِـــرِ الفَـــضِيلِ ... ربيـــعِ الأوَّلِ عـــامَ الفِيـــلِ

[٤] لكنَّمـــا المـــشهُورُ ثَـــانِي عَـــشْرِهِ ... فِي يَـــوْمِ الاثْنَـــيْنِ طُلُـــوعَ فَجْـــرِهِ

[٥] ووَافَـــقَ العـــشرينَ مـــن نَيْـــسانَا ... وقَبلَـــهُ حَـــيْنُ أبيـــهِ حانَـــا

[٦] وبعـــدَ عَـــامَيْنِ غَـــدَا فَطِيمَـــا ... جـــاءتْ بـــه مُرْضِـــعُهُ سَـــلِيمَا

[٧] حليمـــةٌ لأمِّـــهِ وعَـــادَتْ ... بِـــهِ لأَهْلِهَـــا كَمَـــا أَرادَتْ

[٨] فبَعْـــدَ شَـــهْرينِ انْـــشِقاقُ بَطْنِـــهِ ... وقِيـــلَ بعـــدَ أَرْبَـــعٍ مِـــن سِـــنِّهِ

[٩] وبعـــدَ ســـتٍّ مـــعَ شـــهرٍ جَـــائِي ... وفـــاةُ أمِّـــهِ عَلَـــى الأَبْـــواءِ

[١٠] وجـــدُّهُ لـــلأبِ عبـــدُ المطَّلِـــبْ ... بعـــدَ ثمـــانٍ مـــاتَ مـــن غَيْـــرِ كَـــذِبْ

[١١] ثُـــمَّ أبـــو طالـــبٍ العَـــمُّ كَفَـــلْ ... خِدْمَتَـــهُ ثُـــمَّ إلى الـــشَّامِ رَحَـــلْ

[١٢] وذاكَ بعـــدَ عَـــامِ اثْنَـــيْ عَـــشَرْ ... وكـــانَ مـــن أَمْـــرِ بَحِـــيرَا مَـــا اشْـــتَهَرْ

[١٣] وَسَـــارَ نحـــوَ الـــشَّامِ أَشْـــرفُ الـــوَرَى ... فِي عَـــامِ خَمْـــسةٍ وعـــشرينَ اذْكُـــرَا

[١٤] لأُمِّنَـــا خَدِيجَـــةٍ مُتَّجِـــرَا ... وَعَـــادَ فيـــهِ رَابحًـــا مُسْتَبْـــشِرَا

[١٥] فكـــانَ فِيـــهِ عَقْـــدُهُ عَلَيْهَـــا ... وبعـــدَهُ إفْـــضاؤُهُ إِلَيْهَـــا

[١٦] وَوُلْـــدُهُ مِنْهَـــا خَـــلا إِبْـــرَاهِيمْ ... فـــالأوّلُ القاسِـــمُ حَـــازَ التَّكْـــرِيمْ

[١٧] وزينـــبٌ رُقَيّـــةٌ وفَاطِمَـــهْ ... وأمُّ كُلثُـــومٍ لَهُـــنَّ خَاتِمَـــهْ

[١٨] والطَّـــاهِرُ الطَّيِّـــبُ عبـــدُ اللهِ ... وَقيـــلَ كـــلٌّ اســـمٍ لِفَـــرْدٍ زَاهِـــي

---

(١) من أراد سماع هذه المنظومة بقراءة موافقة لهذا الضَّبط يمكنه الدُّخول على الرَّابط التَّالي:
http://www.al-badr.net/qiroah-urjuzah.php

[١٩] والكلُّ في حياته ذاقوا الحِمَامْ — وبَعْدَهُ فاطمةٌ بنِصفِ عَامْ

[٢٠] وبعدَ خمسٍ وثلاثينَ حَضَرْ — بُنْيانَ بيتِ اللهِ لَمَّا أنْ دَثَرْ

[٢١] وحكَّمُوهُ ورَضُوا بما حكَمْ — في وَضْعِ ذَاكَ الحجَرِ الأَسْوَدِ ثَمْ

[٢٢] وبَعْدَ عَامِ أَرْبعينَ أُرْسِلا — في يَوْمِ الاثنينِ يَقِينًا فَانْقُلا

[٢٣] في رَمَضَانَ أو ربيعِ الأوَّلِ — وسُورةُ اقْرَأْ أَوَّلُ الْمُنَزَّلِ

[٢٤] ثمَّ الوُضُوءَ والصلاةَ علَّمَهْ — جبريلُ وَهْيَ ركعتَانِ مُحْكَمَهْ

[٢٥] ثمَّ مَضَتْ عشرُونَ يومًا كامِلَهْ — فرَمَتِ الجنَّ نجومٌ هَائِلَهْ

[٢٦] ثمَّ دعا في أَرْبَعِ الأَعْوَامِ — بالأَمْرِ جَهْرةً إلى الإسْلامِ

[٢٧] ورابعٌ مِنَ النِّسَا واثْنَا عَشَرْ — من الرِّجَالِ الصَّحْبِ كلٌّ قدْ هَجَرْ

[٢٨] إلى بلادِ الحُبْشِ في خَامِسِ عَامْ — وفيه عادوا ثم عَادُوا لا مَلامْ

[٢٩] ثَلاثَةٌ هُمْ وثمانُونَ رَجُلْ — وَمَعْهُمُ جَمَاعَةٌ حتّى كَمُلْ

[٣٠] وَهُنَّ عَشْرٌ وثَمَانٍ ثُمَّ قَدْ — أَسْلَمَ في السَّادِسِ حَمْزَةُ الأَسَدْ

[٣١] وَبَعْدَ تِسْعٍ مِن سِنِيْ رِسَالِتِهْ — مَاتَ أَبُو طالبَ ذُو كَفالَتِهْ

[٣٢] وبعدَهُ خَدِيجةٌ تُوُفِّيَتْ — مِنْ بعدِ أَيَّامٍ ثلاثةٍ مَضَتْ

[٣٣] وبعدَ خمسينَ ورُبْعٍ أَسْلَمَا — جِنُّ نَصِيبِينَ وعَادُوا فاعْلَمَا

[٣٤] ثمَّ علَى سَوْدَةَ أَمْضَى عقْدَهُ — في رَمَضانَ ثُمَّ كَانَ بَعْدَهُ

[٣٥] عقدُ ابنةِ الصدّيقِ في شَوَّالِ — وبعْدَ خَمْسِينَ وَعَامٍ تَالِ

[٣٦] أُسْرِيْ بِهِ والصَّلواتُ فُرِضَتْ — خمساً بِخمسينَ كمَا قدْ حُفِظَتْ

[٣٧] والبَيْعَةُ الأُولَى مَعَ اثْني عَشَرَا — مِنْ أَهْلِ طَيْبَةٍ كَما قَدْ ذُكِرَا

[٣٨] وَبَعْدَ ثِنْتَيْنِ وَخَمْسِينَ أَتَى — سبعونَ في الموْسِمِ هَذَا ثَبَتَا

[٣٩] مِنْ طَيْبَةٍ فَبايَعُوا ثُمَّ هَجَرْ — مكةَ يَوْمَ اثْنَيْنِ مِنْ شَهْرِ صَفَرْ

[٤٠] فَجَاءَ طَيْبَةَ الرِّضَا يَقِينَا — إذْ كمَّلَ الثَّلاثَ والخَمْسينَا

[٤١] فِي يَـوْمِ الاِثْنَـيْنِ ودامَ فِيهَـا عَـشْرَ سِـنِينَ كُمَّـلاً نَحْكِيهَـا

[٤٢] أَكْمَـلَ فِي الأُولَـى صَلاةَ الحَضَرِ مِـنْ بَعْـدِ مَـا جمَّـعَ فَاسْـمَعْ خَبَـرِي

[٤٣] ثـمَّ بَنَـى المسـجِدَ فِي قُبَـاءِ وَمَـسجِدَ المدِينَـةِ الغَـرَّاءِ

[٤٤] ثـمَّ بَنَـى مِـنْ حَوْلِـه مَـسَاكِنَهْ ثُـمَّ أَتَـى مِـنْ بعـدُ فِي هَـذِيْ الـسَّنَهْ

[٤٥] أقـلُّ مِـنْ نِـصفِ الَّـذِينَ سَـافَرُوا إلى بـلادِ الحُـبْشِ حِـينَ هَـاجَرُوا

[٤٦] وفيـهِ آخَـى أَشْـرَفُ الأَخْيـارِ بَـيْنَ المهـاجِرينَ والأَنْـصَارِ

[٤٧] ثـمَّ بَنَـى بابنَـةِ خَيْـرِ صَحْبِهِ وَشَـرَعَ الأَذَانَ فَاقْتَـدِي بِـهِ

[٤٨] وَغَـزْوَةُ الأَبْـوَاءِ بَعْـدُ فِي صَـفَرْ هَـذَا وفِي الثَّانيـةِ الغَـزْوُ اشْـتَهَرْ

[٤٩] إلى بُـوَاطٍ ثُـمَّ بَـدْرٍ ووَجَـبْ تَحَـوُّلُ القِبْلَـةِ فِي نِـصْفِ رَجَـبْ

[٥٠] مِـنْ بَعْـدِ ذِي العُـشَيْرِ يَـا إِخْـوَانِي وَفَـرْضُ شَـهْرِ الـصَّوْمِ فِي شَـعْبَانِ

[٥١] وَالغَـزْوَةُ الكُبْـرَى الَّتِـي بِبَـدْرِ فِي الـصَّوْمِ فِي سَـابِعِ عَـشْرِ الـشَّهْرِ

[٥٢] ووَجَبَـتْ فِيـهِ زَكَـاةُ الفِطْـرِ مِـنْ بَعْـدِ بَـدْرٍ بِلَيَـالٍ عَـشْرِ

[٥٣] وفِي زكـاةِ المـالِ خُلْـفٌ فَـادْرِ وماتَـتِ ابْنَـةُ الـنَّبيِّ البَـرِّ

[٥٤] رُقَيَّـةٌ قبـلَ رُجـوعِ الـسَّفْرِ زوجـةُ عثمـانَ وعُـرْسُ الطُّهْـرِ

[٥٥] فاطمـةٍ علَـى علـيٍّ القَـدْرِ وأَسْـلَمَ العَبَّـاسُ بَعْـدَ الأَسْـرِ

[٥٦] وَقَيْنُقـاعُ غَـزْوُهُمْ فِي الإِثْـرِ وبَعْـدُ ضَـحَّى يـومَ عيـدِ النَّحْـرِ

[٥٧] وغَـزْوَةُ الـسَّوِيقِ ثُـمَّ قَرْقَـرَهْ وَالغَـزوُ فِي الثَّالثـةِ المـشْتَهِرَهْ

[٥٨] فِي غَطَفـانَ وبَـني سُـلَيْمِ وأمُّ كُلْثُـومَ ابنـةُ الكَـرِيمِ

[٥٩] زوَّجَ عثمـانَ بهـا وَحَـصَّهْ ثُـمَّ تَـزَوَّجَ الـنَّبيُّ حَفْـصَهْ

[٦٠] وَزَيْنَبًـا ثُـمَّ غَـزَا إِلى أُحُـد فِي شَـهْرِ شَـوَّالٍ وَحَمْـراءِ الأَسَـد

[٦١] والخَمْـرُ حُرِّمَـتْ يقينـاً فاسْـمَعَنْ هـذا وفيهـا وُلِـدَ الـسِّبْطُ الحَـسَنْ

[٦٢] وكـانَ فِي الرَّابِعـةِ الغَـزوُ إلى بَـني النَّـضِيرِ فِي رَبِيـعٍ أوَّلا

[٦٣]وَبَعْـدُ مـوتُ زينـبَ المقدَّمـهْ ... وبعـدَهُ نكـاحُ أمِّ سـلمهْ

[٦٤]وبنـتِ جَحْـشٍ ثـمَّ بَـدْرِ الموعِـدِ ... وبَعْـدَها الأَحْـزابُ فَاسْـمَعْ واعْـدُدِ

[٦٥]ثـمَّ بَنِـي قُرَيْظَـةٍ وفيهمَـا ... خُلْـفٌ وفي ذَاتِ الرِّقَـاعِ عُلِّمَـا

[٦٦]كيفَ صلاةُ الخوْفِ والقَصْرُ نُمِي ... وآيـةُ الحِجَـابِ والتَّـيَمُّمْ

[٦٧]قيـلَ ورَجْمُـهُ اليَهُـودِيَّيْنِ ... ومَوْلِـدُ السِّبْطِ الرِّضَـا الحُسَيْنِ

[٦٨]وكـانَ في الخامِسةِ اسْمَعْ وَثِـقِ ... الإفـكُ في غَـزْوِ بَنِـي المصْطَلِقِ

[٦٩]وَدُومَـةُ الجَنْـدَلِ قَبْـلُ وحَـصَلْ ... عَقْـدُ ابنـةِ الحـارثِ بَعْـدُ وَاتَّـصَلْ

[٧٠]وَعَقْـدُ رَيْحَانَـةَ فِـي ذِي الخَامِـسَهْ ... ثُـمَّ بَنُـو لِحْيَـانَ بَـدْءَ السَّادِسَهْ

[٧١]وبعـدَهُ اسْتِسْقَاؤُه وذُو قَـرَدْ ... وَصُـدَّ عـن عُمْرَتِـهِ لَمَّـا قَـصَدْ

[٧٢]وبَيْعـةُ الرِّضْـوانِ أوَّلْ وبِنَـى ... فِيهـا بِرَيْحَانَـةَ هَـذا بُيِّنَـا

[٧٣]وفُـرِضَ الحـجُّ بخُلْـفٍ فاسْـمَعَهْ ... وَكَـانَ فَـتْحُ خَيْـبرٍ في السَّابِعَهْ

[٧٤]وَحَظْـرُ لَحْـمِ الحُمُـرِ الأَهْلِيَّـهْ ... فِيهَـا ومُتْعـةِ النِّسَا الرَّدِيَّـهْ

[٧٥]ثُـمَّ علـى أُمِّ حَبِيبـةٍ عَقَـدْ ... وَمَهْرَهَـا عَنْـهُ النَّجَاشِـيُّ نَقَـدْ

[٧٦]وسُـمَّ في شَـاةٍ بِهـا هَدِيَّـهْ ... ثُـمَّ اصْـطَفَى صَـفِيَّةً صَفِيَّهْ

[٧٧]ثـم أَتَـتْ وَمَـنْ بَقِـيْ مُهَـاجِرا ... وَعَقْـدُ ميمونـةَ كَـانَ الآخِـرَا

[٧٨]وَقَبْـلُ إسـلامُ أبـي هُرَيْـرَهْ ... وَبَعْـدُ عُمْـرَةُ القَـضَا الشَّهِيرَهْ

[٧٩]وَالرُّسْـلَ في المُحَـرَّمِ المُحَـرَّمِ ... أَرْسَـلَهُمْ إلى المُلُـوكِ فَـاعْلَمِ

[٨٠]وأُهْـدِيتْ مَارِيـةُ القِبْطِيَّـهْ ... فِيـهِ وفِـي الثّامِنَـةِ السَّرِيَّهْ

[٨١]لِمُؤْتَـةٍ سَـارَتْ وَفِـي الصِّيَامْ ... قَـدْ كَـانَ فَـتْحُ البلَـدِ الحَـرَامْ

[٨٢]وَبَعْـدَهُ قَـدْ أَوْرَدُوا مَـا كَـانَ فِـي ... يَـوْمِ حُنَـيْنٍ ثُـمَّ يَـوْمِ الطَّـائِفِ

[٨٣]وَبَعْـدُ فِـي ذِي القَعْـدَةِ اعْتِمَـارُهْ ... مِـنَ الجِعِرَّانَـةِ وَاسْـتِقْرَارُهْ

[٨٤]وبِنْتُـهُ زَيْنَـبُ مَاتَـتْ ثُمَّـا ... مَوْلِـدُ إبـراهيمَ فِيهَـا حَتْمَـا

[٨٥]ووَهَبَــــتْ نَوْبَتَهـــا لِعَائِشَــةْ سَـوْدَةُ مَـا دَامَـتْ زَمَانـاً عَائِشَـهْ

[٨٦]وعُمِــلَ المِنْــبرُ غَيْــرَ مُخْتَفِــي وَحَــجَّ عَتَّــابٌ بِأَهْــلِ المَوْقِــفِ

[٨٧]ثُـمَّ تَبُـوكَ قَـدْ غَـزَا فِـي التَّاسِـعَهْ وَهَــدَّ مَــسْجِدَ الــضِّرَارِ رَافِعَــهْ

[٨٨]وَحَــجَّ بِالنَّــاسِ أَبُــو بَكْـرٍ وثَـمْ تَــلا بَــرَاءَةً عَلِــيٌّ وَحَــتَمْ

[٨٩]أَنْ لا يَحُــجَّ مُــشْرِكٌ بَعْــدُ وَلا يَطُــوفَ عَــارٍ ذَا بِــأَمْرٍ فَعَــلا

[٩٠]وجَــاءَتِ الوُفُــودُ فِيهَــا تَتْــرَى هَــذَا وَمِــنْ نِــسَاهُ آلَــى شَــهْرَا

[٩١]ثُــمَّ النَّجاشِــيَّ نَعَــى وصَــلَّى عَلَيْــهِ مِــن طَيْبَــةَ نَــالَ الفَــضْلا

[٩٢]وَمَــاتَ إبْــرَاهِيمُ فِــي العَــامِ الأَخِــيرْ وَالبَجَلِــيْ أَسْــلَمَ وَاسْــمُهُ جَرِيــرْ

[٩٣]وَحَــجَّ حَجَّــةَ الــوَدَاعِ قَارِنَــا ووَقَــفَ الجُمْعَــةَ فِيهَــا آمِنَــا

[٩٤]وَأُنْزِلَــتْ فِي اليَــوْمِ بُــشْرَى لَكُــمُ اليَــومَ أَكْمَلْــتُ لَكُــمْ دِيــنَكُمُ

[٩٥]وَمَــوْتُ رَيْحانَــةَ بَعْــدَ عَــوْدِهِ وَالتِّــسْعُ عِــشْنَ مُــدَّةً مِــنْ بَعْــدِهِ

[٩٦]وَيَــوْمَ الاثْنَــيْنِ قَــضَى يَقِينَــا إذْ أَكْمَــلَ الــثَّلاثَ والــسِّتِّينَا

[٩٧]والــدَّفنُ فِــي بَيْــتِ ابْنَــةِ الــصِّدِّيقِ فِــي مَوْضِـعِ الوَفَـاةِ عَـن تَحْقِيـقِ

[٩٨]وَمُــدَّةُ التَّمْــرِيضِ خُمْــسًا شَــهْرِ وَقِيــلَ بَــلْ ثُلْــثٌ وَخُمْــسٌ فَــادْرِي

[٩٩]وَتَمَّــتِ الأُرْجُــوزَةُ المِيئيَّــهْ فِي ذِكْــرِ حَــالِ أَشْــرَفِ البَرِيَّــهْ

[١٠٠]صَــلَّى عَلَيْــهِ اللهُ رَبِّــي وَعَلَــى أَصْــحَابِهِ وَآلِــهِ وَمَــنْ تَــلا

[١] الحمـــــدُ للهِ القَـــــدِيمِ البَـــارِي   ثُـــمَّ صَـــلاتُهُ عَلَـــى المختَـــارِ

بدأ رَحِمَهُ ٱللَّهُ هـٰذا النَّظم بحَمد الله عَزَّوَجَلَّ والثَّناء عليه ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ بما هو أهلُه، والصَّلاة على رسوله المُصطَفَى، ونبيِّه المجتَبى محمَّدٍ صلواتُ الله وسلامُه وبركاتُه عليه.

«الحمْدُ لله»؛ الحمْدُ: هو الثَّناء على الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ مع حبِّه وتعظيمه ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ، وهو عَزَّوَجَلَّ يُحمَد على ما لَهُ منَ الأسماء الحُسنى والصِّفات العُليا، ويُحمَد ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ على نعمِه الَّتي لا تعدُّ ولا تُحصى.

«لله»؛ اللهُ: اسمٌ مِنْ أسمائه ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ، إليه ترجِعُ جميعُ الأسماء وإليه تُضاف، ومعناه: «ذو الألوهيَّة والعبوديَّة على خلقِه أجمعين».

فهو يدلُّ على الألوهيَّة الَّتي هي أوصاف الكمال لله عَزَّوَجَلَّ الَّتي استحقَّ بها أن يُؤله، وأن يُعبَد، وأن يُخضَع له ويُذلَّ، ويدلُّ على العبوديَّة الَّتي هي وصفُ العبد الَّتي يقتَضيها إيمانُه بربِّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

«القَدِيم»؛ أي: الأوَّل الَّذي ليس قبلَه شيءٌ، وإطلاقُه على الله هُنا إنَّما هو من باب الإخبار، ولا يصحُّ عدُّه في جُملة أسماء الله الحسنى، كما بيَّن ذلك النَّاظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شَرحه لعقيدة الطَّحاوي حيثُ قال: «وأمَّا إدخالُ القَديم في أسماء الله تعالى فهو مشهورٌ عند أكثَر أهل الكلام، وقد أنكَر ذلكَ كثيرٌ من السَّلفِ والخلَفِ، منهم ابنُ حزم، ولا ريبَ أنَّه إذا كانَ مستَعمَلًا في نفس التَّقدُّم؛ فإنَّ ما تقدَّم على الحوادثِ كلِّها فهو أحقُّ بالتَّقدُّم من غَيره، لكن أسماء الله تعالى هي الأسماءُ الحُسنى الَّتي تدلُّ على خصُوص ما يُمدَحُ به، والتَّقدُّم في اللُّغة مطلَقٌ لا يختصُّ بالتَّقدُّم على الحوادثِ كلِّها، فلا يكونُ من الأسماء

الحسنى، وجاء الشَّرع باسمِه «الأوَّل»، وهو أحسَن من «القَديم»؛ لأنَّه يُشعِر بأنَّ ما بعدَه آيلٌ إليه، وتابعٌ له بخِلاف القَديم، والله تعالى له الأسماء الحسنى لا الحَسَنة» اهـ.

ولو قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «القَدير الباري» لكانَ أولى؛ لأنَّ «القَدير» من أسماء الله ـ جلَّ وعلا ـ، وقد تكرَّر ورودُه في القرآن كثيرًا، وهو المناسبُ ذكرُه مع اسم «الباري»، وهو دالٌّ على ثبوت القُدرة صفةً لله عَزَّوَجَلَّ، فهو ـ جلَّ وعلا ـ على كلِّ شيءٍ قدير، لا يُعجِزُه شيءٌ في الأرض ولا في السَّماء، وإذا أراد سُبحانه خلقَ شيءٍ قدَّره بعلمِه وحكمتِه، ثمَّ بَرَأَهُ، أي: أوجَدَه وَفق ما قدَّر سُبحانه، فالبَرء هو التَّنفيذ وإبرازُ ما قدَّره إلى الوجود؛ ولأنَّ الأنسبَ لذكر «القَديم» أن يُذكَر معه «الباقي».

ولعلَّ ما وقَع هُنا من تصحيف النُّسَّاخ، والله أعلم.

«**البَارِي**»: هـٰذا اسمٌ من أسما ء الله ـ جلَّ وعلا ـ ثابتٌ في القُرآن الكريم، ومَعناه: الخالقُ للمخلوقاتِ، والمبدِعُ للكائناتِ، والموجِدُ لها بعد العَدم.

«**ثُمَّ صَلاتُهُ**»؛ أي الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ.

«**عَلَى المُخْتَارِ**» محمَّد بن عبد الله ـ صلواتُ الله وسلامُه عليه ـ، و«**المُخْتَار**» هو المجتَبى المصطَفى، قال الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ: ﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ ﴾ [الحَجّ : ٧٥]، ويقول جلَّ وعلا: ﴿وَرَبُّكَ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخۡتَارُۗ ﴾ [القَصَص : ٦٨]، ومحمَّد ـ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ خِيرَةُ الله من خَلقِه صلواتُ الله وسلامُه عليه.

والصَّلاةُ منَ الله على نبيِّه ﷺ ثناؤه عليه في مَلَئِه الأعلى[1].

---

(١) قال أبو العالية رَحِمَهُ اللَّهُ: «صلاة الله: ثناؤه عليه عند الملائكة، وصلاة الملائكة: الدُّعاء»، أخرجه البخاري

[٢] وَبَعْــدُ هَــاكَ سِــيرَةَ الرَّسُــولِ   مَنْظُومَــةً مُــوجَزَةَ الفُــصُولِ

«وَبَعْدُ»؛ أي: بعد هـٰذا الحمد والثَّناءِ والصَّلاةِ على رسولِ الله ﷺ.

«هَاكَ»؛ أي: خُذ.

«سِيرَةَ الرَّسُولِ»؛ و«السِّيرة» لغةً[1]: الطَّريقَة حسنةً كانت أو سيِّئةً، فالسِّيرةُ: الطَّريقة؛ لـٰكن إذا أضيفَت السِّيرةُ للرَّسول ـ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ، فهيَ أزكى سيرةٍ على الإطلاق، لا كانَ ولا يكونُ مثلُها، والمُراد بالسِّيرة النَّبويَّةِ في الاصطلاح: ذِكْرُ أخبار النَّبيِّ ﷺ مُنذ ولادتِه إلى أن لحقَ بالرَّفيقِ الأعلى.

«الرَّسُولِ»؛ أي محمَّد ﷺ خاتَم النَّبيِّين، وإمامُ الأوَّلين والآخِرين، صلواتُ الله وسلامُه عليه.

«مَنْظُومَةً»؛ من النَّظم، وهو الجمع والتَّأليف، يُقال: نَظَمَ الشَّيءَ إلى الشَّيء؛ أي جمعَه إليه، وألَّفه وضمَّ بعضَه إلى بعض[2]، والمراد بـ«النَّظم»: الكلام الموزون المقفَّى.

ومن فوائد النَّظم: المساعدةُ على ضبط العِلم وحفظِه؛ ولهذا اعتنى أهلُ العلم بنَظْم فُنون الشَّريعة في منظوماتٍ سَلِسَةٍ، وأبياتٍ جميلةٍ، تعينُ طالبَ العلم على حفظِها وضبطِها.

«مُوجَزَةَ»؛ منَ «الإيجاز»: وهُو الاختِصار، فهُو راعى في هـٰذه المنظومةِ الاختصارَ

في كتاب التَّفسير، باب قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ۝٥٦﴾ [سُورَةُ الأَحْزَابِ].

(١) «لسان العرب» (٤/ ٣٨٩).

(٢) نفسه (١٢/ ٥٧٨).

غيرَ المخِلِّ؛ بل إنَّها مع اختِصارها، وقلَّةِ أبياتِها ـ فأبياتُها مائة ـ حَوَتْ أمَّهات موضوعات السِّيرةِ باختِصار، وما لم يُذكَرْ منها دلَّ عليه ما ذُكر.

«الفُصُولِ»؛ مشيرًا بهـٰذا إلى أنَّه رتَّب موضوعات السِّيرة ترتيبًا بحَسب أحداث السِّيرة، فصلًا يتلوه فصلٌ، دونَ أن ينُصَّ على كلمةِ فصلٍ في أثناء النَّظم؛ لـٰكنَّها من حيثُ التَّرتيب جاءت فصولًا متتابعَةً، مرتَّبةً ترتيبًا حسنًا طيِّبًا في عَرض سيرةِ الرَّسول الكريم صلواتُ الله وسلامُه عليه.

[٣] مولِـــدُهُ فِي عاشِـــرِ الفَـــضِيلِ	ربيـــعِ الأوَّلِ عـــامَ الفِيـــلِ
[٤] لكنَّمـــا[1] المـــشهُورُ ثَـــانِي عَـــشْرِهِ	فِي يَـــوْمِ الاثْنَـــيْنِ طلُـــوعَ فَجْـــرِهِ
[٥] ووَافَـــقَ العـــشرينَ مِـــن نَيْـــسانَا	وقَبلَـــهُ حَـــيْنُ أبيـــهِ حانَـــا

ذكر رَحِمَهُ اللَّهُ في هـٰذه الأبيات الثَّلاثة ما يتعلَّق بمَولد الرَّسول ـ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ، وهـٰذا في جميع كُتب السِّيرة هو أوَّل ما يُبدأ به من سِيرته صلواتُ الله وسلامُه عليه.

«مَوْلِدُهُ»؛ أي: النَّبيّ ﷺ.

«فِي عَاشِرِ الفَضِيلِ رَبِيعِ الأَوَّلِ»؛ أي: في اليوم العاشر من شهر ربيع الأوَّل.

«عَامَ الفِيلِ»؛ أي: في العام المعروف بـ«عام الفِيل»؛ للقصَّة المعروفة الَّتي وقعَت في ذلك العام لأَبْرَهَة، عندما أتى مكَّة قاصدًا هَدم بيتِ الله الحرام، قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ

(١) في «د»: «لكنَّها».

﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾﴾ [سُورَةُ الفِيلِ]، فذاك العام يُعرف بـ«عام الفِيل»، ومِن عادة العَرب والنَّاسِ عمومًا تأريخ السَّنوات بالحوادث الكبار الَّتي تقَع في تلك السَّنواتِ.

«لَكِنَّمَا المَشْهُورُ ثَانِي عَشْرِهِ»؛ أي: المشهور أنَّه ـ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ وُلد في اليوم الثَّاني عَشَر من شهر ربيع الأوَّل، مشيرًا إلى أنَّ هناك خلافًا بينَ أهل العلم في أيِّ يوم من شَهر ربيع الأوَّل وُلد ﷺ، وذَكر هُنا العاشر والثَّاني عشر، وأشار إلى أنَّ الثَّاني عشر هُو المشهُور عند أهل العِلم.

وقيل كذلك: إنَّ مولدَه ـ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ في الثَّامن من شَهر ربيع الأوَّل، وقيل غير ذلك[(١)].

وقد قال الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه «صحيح السِّيرة»: «وفي شَهره أقوالٌ ذكرَها ابنُ كثير في الأصل (يعني «البداية والنِّهاية»)، وكلُّها معلَّقة ـ بدون أسانيد ـ يمكن النَّظر فيها، ووزنها بميزانِ علم مصطَلح الحديث؛ إلَّا قولَ مَن قال: إنَّه في الثَّامن من ربيع الأوَّل؛ فإنَّه رواه مالكٌ وغيرُه بالسَّند الصَّحيح عن محمَّد بن جُبير بن مُطْعِم، وهو تابعيٌّ جليل، ولعلَّه لذلك صحَّح هـٰذا القولَ أصحابُ التَّاريخ واعتمَدُوه»، ثمَّ قال: «والجمهور على أنَّه في الثَّاني عشَر منه، والله أعلم»[(٢)].

وهـٰذا الاختلاف في تحديد اليوم الَّذي وُلد ـ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ فيه من شهر

---

(١) انظر: «البداية والنِّهاية» (٣/ ٣٧٤ ـ ٣٧٦).

(٢) «صحيح السِّيرة النَّبويَّة» (ص١٣).

ربيع الأوَّل من الأدلَّة الَّتي ذكرها أهلُ العلم في أنَّ ليلةَ مولدِه ـ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ لا يترتَّب عليها حكمٌ شرعيٌّ، وإلَّا لو كان يترتَّب على ذلكَ حكمٌ شرعيٌّ أو عملٌ مشروع؛ لما كانَ في تحديد مولدِه هـٰذا الاختلاف الَّذي يُذكر في جميع كُتُب التَّاريخ.

ومَن جَزم بيومٍ معيَّن من شَهر ربيع الأوَّل أنَّه هُو يوم مولدِ النَّبيِّ ـ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ، فلا دليل واضحٌ عنده على ذلك الجزم.

«**عَامَ الفِيلِ**»؛ جاء في هذا نصوصٌ منها ما رواه الحاكم في «المستدرك»[1] عن ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «وُلد النَّبيُّ ﷺ عامَ الفيل»، وقال الحاكم: «هـٰذا حديث صحيحٌ على شرط الشَّيخين ولم يخرِّجاه»، وقال الذَّهبي: «على شرط مسلم»[2].

وروى ابنُ إسحاق ـ ومن طريقه الحاكم وغيره ـ عن قَيْس بن مَخْرمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «وُلدتُ أنا ورسولُ الله ﷺ عامَ الفيل، فنحنُ لِدَتان»[3].

يقال: «فلانٌ لِدَةُ فُلانٍ»؛ إذا وُلِد معه في وقتٍ واحد[4]، فالنَّبيُّ ـ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ وُلد عامَ الفِيل، واخْتُلِفَ بكَم يومٍ كانت ولادتُه بعد حادثة الفِيل، والأَشْهَرُ أنَّها بعدها بخَمسين يومًا[5].

---

(١) برقم (٤٢٣٩).

(٢) وصحَّحه ـ أيضًا ـ الألباني في «صحيح السِّيرة» (ص١٣)، وانظر «الصَّحيحة» رقم (٣١٥٢).

(٣) «السِّيرة النَّبويَّة» لابن إسحاق (١/ ٩٩)، و«مستدرك الحاكم» (٢/ ٦٠٣) وقال: «حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرِّجاه»، وحسَّنه العلَّامة الألباني في «صحيح السِّيرة» (ص١٣)، وانظر «السِّلسلة الصَّحيحة» رقم (٣١٥٢).

(٤) يُقال: أنا لِدَةُ فلان؛ يعني أنا تِرْبُه، مشتقٌّ من ولد يَلد، فالتَّاء عوضٌ عن الواو، ينظر: «لسان العرب» (٣/ ٤٦٧).

(٥) انظر: «البداية والنِّهاية» (٣/ ٣٨٠).

«**فِي يَوْمِ الِاثْنَيْنِ طُلُوعَ فَجْرِهِ**»؛ أي: كانت ولادتُه يومَ الاثنين، وهـذا ثابتٌ في الحديث الصَّحيح عنه ـ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ، كما جاء في «صحيح مسلم»[١] عن أبي قَتادة الأنصَاري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنَّ رسولَ الله ﷺ سُئِلَ عن صَوْمِ يومِ الاثْنينِ، قَالَ: «**ذَاكَ يَوْمٌ وُلِدْتُ فِيهِ، وَيَوْمٌ بُعِثْتُ ـ أو أُنْزِلَ عَلَيَّ ـ فِيهِ**»، فيومُ الاثنين هُو اليوم الَّذي وُلد فيه ـ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ، وهو اليومُ الَّذي أُنزلَ عليه فيه، وهُو اليوم الَّذي هاجَر فيه من مكَّة إلى المدينَة، وهُو اليوم الَّذي وَصَلَ فيه إلى المدينة، وهُو اليوم الَّذي توفِّي ـ صلواتُ الله وسلامُه عليه ـ فيه، وكلُّ ذلك نصَّ عليه النَّاظم في موضِعه المناسِب مِن هَذا النَّظم المبارَك.

«**وَوَافَقَ العِشْرِينَ مِنْ نَيْسَانَا**»؛ و«نَيْسان» ـ ويُقال له: إبْرِيل ـ: هو الشَّهر الرَّابع من شُهور السَّنة الشَّمسيَّة، قال السُّهيلي في «الرَّوض الأُنُف»: «وأهلُ الحساب يقولون: وافَقَ مولدُه من الشُّهور الشَّمسيَّة «نَيْسان»، فكانت لعشرين مضَت منه»[٢]، ولهـذا قال النَّاظم هنا رَحِمَهُ اللهُ: «**وَوَافَقَ العِشْرِينَ مِنْ نَيْسَانَا**».

«**وَقَبْلَه حَيْنُ أَبِيهِ حَانَا**»، الضَّمير في قوله: «**وَقَبْلَه**» عائدٌ على مَولد النَّبيِّ ـ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ، فقَبل أن يُولَد ـ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ «**حَيْنُ أَبِيهِ حَانَا**»؛ أي: أجلُ والده حَضَرَ، فتوفِّيَ والِدُه ـ صلواتُ الله وسلامُه عليه ـ وهو حمْلٌ في بطن أمِّه على الصَّحيح، و«الحَين» ـ بفتح الحاء ـ: الهلاك، كما في «القاموس» وغيره.

واختَلَف أهلُ العلم في وفاة والدِه ـ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ هل كانت وهو حملٌ

---

(١) رقم (١١٦٢).

(٢) «الرَّوض الأُنُف في شرح السِّيرة النَّبويَّة» لابن هشام (٢/ ١٥٩).

أو بعدَ أن وُلِد[1]، والصَّحيحُ أنَّ وفاةَ والدِه ـ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ كانت وهو حملٌ في بطن أمِّه، وهـٰذا الَّذي جزم به ابنُ إسحاق في «السِّيرة»[2]؛ بل لم يذكُر غيرَه.

وهـٰذا أبلغُ درجاتِ اليُتم؛ أن يموتَ الأبُ والولدُ جنينٌ في بطن أمِّه؛ فيخرج إلى الدُّنيا ولا أبَ له، ويُتم النَّبيِّ ﷺ ذكرَه اللهُ في القُرآن فقال: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ۝٨﴾ [سُورَةُ الضُّحَىٰ].

[٦] وبعـدَ عـامَيْنِ غـدَا فَطِيمَـا ... جـاءتْ بـه مُرْضِـعُهُ[3] سَـلِيمَا
[٧] حليمـةٌ لأمِّـهِ وعَـادَتْ ... بِـهِ لأَهْلِهَـا كَمَـا أَرادَتْ

«**وَبَعْدَ عَامَيْنِ**»؛ بعد أن أكمَل عامين من مولدِه ﷺ.

«**غَدَا**»؛ أي أصبح أو صار.

«**فَطِيمًا**»؛ وفَطْم الصَّبي هو فَصْلُه من الرَّضاع، وفُطِمَ ـ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ بعد أن أتمَّ الرَّضاعة حَولَيْن كاملَيْن: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ﴾ [البَقَرَة: ٢٣٣].

«**جَاءَتْ بِهِ مُرضِعُهُ سَلِيمًا**»؛ أي جاءت به مرضعه إلى والدتِه في مكَّة سليمًا معافى، ليس به آفةٌ، ولا يشكو من علَّة، في صحَّةٍ طيِّبةٍ، وبِنيةٍ حسَنةٍ، ونشأةٍ قويمةٍ.

«**حَلِيمَةٌ**»؛ بنتُ أبي ذُؤَيْب السَّعديَّة، مُرضعُ النَّبيِّ ﷺ، وقد اختُلِف في إسلامِها

---

(١) انظر: «الرَّوض» (٢/ ١٦٠)، و«زاد المعاد» لابن القيِّم (١/ ٧٦).

(٢) «السِّيرة النَّبويَّة» لابن إسحاق (١/ ١٢٤).

(٣) في «ت»: «مرضعته»، وفي «د»: «مرضعة».

وإسلامِ زوجِها[١].

«**لِأُمِّهِ**»؛ أي: في مكَّة.

«**وَعَادَتْ بِهِ لِأَهْلِهَا**»؛ لأنَّه أعجبَها كثيرًا، ورأت منَ البركة والخَير في وجودِه ﷺ شيئًا عجبًا لم تألفه، ولم تعهَدْه فيمَن أرضعتْهُم منَ الصِّغار، فلمَّا جاءت به إلى أمِّه أرادت أن تُقنع أمَّه أن تُبقيَه عندها فترةً أطوَل، وذُكر في بعض الأخبار أنَّها أشارت إلى الجوِّ الطَّيِّب عندهم، وأنَّها تخشى عليه من الأوبئة في مكَّة ونحو ذلك، فأقنعَتها أن تَرجع به معها، فاقتنعَت أمُّه شفقةً عليه، فعادتْ به حليمة معَها[٢].

«**كَمَا أَرَادَتْ**»؛ أي: أنَّ هـٰذا شيءٌ كانت تريده أصالةً عندمَا جاءت به إلى أمِّه.

[٨] فبَعْــدَ شَــهْرينِ انْــشِقاقُ بَطْنِــهِ وقِيــلَ بعــدَ أَرْبَــعٍ مِــن سِــنِّهِ

ذَكَر هُنا رَحِمَهُ اللَّهُ حادثةَ انشقاق صَدر النَّبيِّ ـ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ في المرَّة الأولى، وأنَّ ذلك كانَ بعد شَهرين من رُجُوع حليمةَ به من عند أمِّه، وقيل: إنَّ ذلكَ كانَ بعد أن أتمَّ أربعَ سنواتٍ من عُمره ﷺ.

روى ابنُ إسحاق[٣] عن نَفَر من أصحابِ رسُول الله ﷺ قالوا له: يا رسول الله! أخبِرْنَا عن نفسِك، قال: «**نَعَمْ، أَنَا دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمُ، وَبُشْرَى أَخِي عِيسَى، وَرَأَتْ أُمِّي حِينَ حَمَلَتْ بِي أَنَّه خَرَجَ مِنْهَا نُورٌ أَضَاءَ لَهُ قُصُورُ الشَّام، وَاسْتُرْضِعْتُ فِي بَنِي سَعْدِ ابنِ بَكْرٍ، فَبَيْنَا أَنَا مَعَ أَخٍ لِي خَلْفَ بُيُوتِنَا نَرْعَى بَهْمًا لَنَا؛ إِذْ أَتَانِي رَجُلَانِ عَلَيْهِمَا ثِيَابٌ بِيضٌ**

---

(١) انظر: «زاد المعاد» (١/ ٨٣)، و«سبل الهدى والرَّشاد» (١/ ٤٦٥).

(٢) انظر: «السِّيرة النَّبويَّة» لابن هشام (٢/ ١٧٧ ـ ١٧٩).

(٣) انظر: «سيرة ابن هشام» (١/ ١٨١).

بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مَمْلُوءٍ ثَلْجًا، فَأَخَذَانِي فَشَقَّا بَطْنِي، وَاسْتَخْرَجَا قَلْبِي، فَشَقَّاهُ فَاسْتَخْرَجَا مِنْهُ عَلَقَةً سَوْدَاءَ فَطَرَحَاهَا، ثُمَّ غَسَلَا قَلْبِي وَبَطْنِي بِذَلِكَ الثَّلْجِ حَتَّى أَنْقَيَاهُ، ثُمَّ قَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: زِنْهُ بِعَشَرَةٍ مِنْ أُمَّتِهِ فَوَزَنَنِي بِهِمْ فَوَزَنْتُهُمْ، ثُمَّ قَالَ: زِنْهُ بِمِائَةٍ مِنْ أُمَّتِهِ، فَوَزَنَنِي بِهِمْ فَوَزَنْتُهُمْ، ثُمَّ قَالَ: زِنْهُ بِأَلْفٍ مِنْ أُمَّتِهِ فَوَزَنَنِي بِهِمْ فَوَزَنْتُهُمْ، فَقَالَ: دَعْهُ عَنْكَ، فَوَاللهِ لَوْ وَزَنْتَهُ بِأُمَّتِهِ لَوَزَنَهَا»، قال ابنُ كثير: «وإسنادُه جيِّدٌ قويٌّ»[(١)].

ويشهد له ما في «صحيح مسلم»[(٢)] عن أنس بن مالك: «أنَّ رسُولَ الله ﷺ أتاه جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو يلعَبُ معَ الغِلمان، فأخَذه فصَرَعه، فشقَّ عن قلبِه فاستَخرج القلبَ، فاستخرجَ منه عَلَقَةً، فقال: هذا حظُّ الشَّيطان منكَ، ثمَّ غسَلَه في طَسْت من ذهبٍ بماء زمزم، ثمَّ لأَمَهُ، ثمَّ أعادَه في مكانِه، وجاء الغِلمانُ يسْعَون إلى أمِّه ـ يعني ظِئْرَهُ ـ فقالوا: إنَّ محمَّدًا قد قُتِل، فاستقبَلُوه وهُو مُنْتَقِع اللَّون، قال أنس: وقَد كنتُ أرى أثَر ذلك المِخْيَط في صَدره»، صلواتُ الله وسلامُه عليه.

وحادثة شقِّ صدره الشَّريف ﷺ تكرَّرت أكثَر من مرَّة.

فقد ذكر الحافظ ابن حجر في «فتح الباري»[(٣)] أنَّ شقَّ الصَّدر وقع ثلاثَ مرَّات:

أوَّلها هـٰذا الَّذي وقع في طفولتِه، قال: «فنشأ على أكمَل الأحوال منَ العِصمة من الشَّيطان ـ كما جاء في الحديث: «هـٰذَا حظُّ الشَّيطان منكَ» ـ.

---

(١) «البداية والنِّهاية» (٣/ ٤١٣)، وصحَّحه الألباني في «صحيح السِّيرة» (ص١٧)، وانظر «الصَّحيحة» (١٥٤٥، ١٥٤٦).

(٢) رقم (١٦٢).

(٣) (٧/ ٢٠٥).

ثمَّ وقع شقُّ الصَّدر عند البَعث زيادةً في إكرامه؛ ليتلقَّى ما يوحَى إليه بقلب قويٍّ في أكمَل الأحوال من التَّطهير.

ثمَّ وقع شقُّ الصَّدر عند إرادةِ العُروج إلى السَّماء؛ ليتأهَّب للمُناجاة».

وفي «سُبل الهدى والرَّشاد» للصَّالحي(١): أنَّ شقَّ صدره الشَّريف ﷺ تكرَّر أربع مرَّات، وذكر أنَّ المرَّة الثَّانية: وهُو ابنُ عشر سِنين صلواتُ الله وسلامُه عليه.

وقد كان ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ أشرَحَ النَّاس صدرًا، وأطيَبَهُم سريرةً، قال ابنُ القيِّم رَحِمَهُ اللهُ في كتابه «زاد المعاد»(٢): «وكان هديُه ﷺ يدعو إلى الإحسان والصَّدقة والمعروف؛ ولذلك كان ﷺ أشرحَ الخَلْق صدرًا، وأطيبَهم نفسًا، وأنعمَهم قلبًا، فإنَّ للصَّدقةِ وفِعلِ المعروفِ تأثيرًا عجيبًا في شَرح الصَّدر، وانْضافَ ذلك إلى ما خصَّه الله به من شَرح صَدرِه بالنُّبوَّة والرِّسالة، وخصائِصها وتوابِعها، وشَرح صدرِه حسًّا، وإخراجِ حظِّ الشَّيطان منه».

ثمَّ أفرد فصلًا كاملًا، عظيمَ النَّفع، كبيرَ الفائدة في ذِكر أسباب شَرح الصَّدر وحصولها على الكمال له، صلواتُ الله وسلامُه عليه.

[٩] وبعدَ سِتٍّ معَ شهرٍ جَائِي   وفاةُ أمِّهِ علَى الأَبْواءِ

«**وَبَعْدَ سِتٍّ**»؛ يعني بعد ستِّ سنوات من مَولده، عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

«**مَعَ شَهْرٍ جَائِي**»؛ أي: مضافًا إليها، ذهبت به أمُّه إلى أخواله من بني النَّجَّار في

(١) (٢/ ٨٢).
(٢) (٢/ ٢٣).

المدينة لزيارتهم، وفي طريق العَودة من المدينة إلى مكَّة توفِّيت بـ«الأَبْواء».

قال ابنُ إسحاق[١] بعد ذكر رجوعِه ـ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ إلى أمِّه آمنة بعد رضاعِه من حليمة: «كان رسولُ الله ﷺ مع أمِّه آمنة بنت وَهْب، وجدِّه عبد المطَّلب ابن هاشم في كَلاءَةِ الله وحفظِه يُنْبتُه اللهُ نباتًا حسنًا؛ لِـمَا يريدُ به من كرامتِه، فلمَّا بلغَ رسولُ الله ﷺ ستَّ سنين تُوفِّيتْ أمُّه آمنةُ بنتُ وَهْب.

قال: حدَّثني عبد الله بن أبي بكر بن محمَّد بن عَمْرو بن حَزْم أنَّ أمَّ رسولِ الله ﷺ آمنَة توفِّيت وهو ابنُ ستِّ سنين بـ«الأبواء» بين مكَّة والمدينَة، كانت قَدمتْ به على أخواله من بَني عَدِي بن النَّجار تُزِيرُه إيَّاهم، فماتَت وهي راجعةٌ به إلى مكَّة».

وروى الإمام أحمد عن بُريدة بن الحُصَيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «خرجتُ مع النَّبيِّ ﷺ، حتَّى إذا كنَّا بـ«وَدَّان»، قال: «**مَكَانَكُمْ حَتَّى آتِيَكُمْ**»، فانطلق، ثمَّ جاءنا وهو ثقيلٌ، فقال: «**إِنِّي أَتَيْتُ قَبْرَ أُمِّ مُحَمَّدٍ، فَسَأَلْتُ رَبِّي الشَّفَاعَةَ فَمَنَعَنِيهَا، وَإِنِّي كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَزُورُوهَا**»»[٢].

وروى مسلم من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «زار النَّبيُّ ﷺ قبر أمِّه، فبكى وأبكى من حَوله، فقال: «**اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي فِي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لَهَا فَلَمْ يُؤْذَنْ لِي، وَاسْتَأْذَنْتُهُ فِي أَنْ**

(١) «السِّيرة النَّبويَّة» لابن هشام (١/ ١٨٢ ـ ١٨٣).

(٢) «المسند» رقم (٢٣٠١٧).

أَزُورَ قَبْرَهَا فَأَذِنَ لِي، فَزُورُوا القُبُورَ؛ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ المَوْتَ»[١].

[١٠] وجدُّهُ للأبِ عبدُ المطَّلِبْ   بعدَ ثمانٍ ماتَ[٢] من غيرِ كَذِبْ

«وَجَدُّه لِلْأَبِ عَبْدُ المُطَّلِبْ»؛ الَّذي قام بكفالَتِه بعد وفاةِ والدِه، وقام على رعايتِه، وفضَّلَه على أولادِه وأبنائِه، وأجلَسَه في مجلسِه، وكانت له حظوةٌ عظيمةٌ عنده.

«بعدَ ثمانٍ ماتَ»؛ أي كانت وفاتُه بعد ثمانِ سنواتٍ من مولدِه ـ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ، وبعد وفاةِ أمِّه بسنتَيْن.

«مِنْ غَيْرِ كَذِبْ»؛ أي: أنَّ هـٰذا أمرٌ متقرِّرٌ ومعروفٌ، وثابتٌ في كُتب السِّيرة.

قال ابنُ إسحاق: «فلمَّا بلَغَ رسولُ الله ﷺ ثماني سِنين هلكَ جدُّه عبد المطَّلب ابن هاشم»[٣].

[١١] ثُمَّ أبو طالبٍ العَمُّ كَفَلْ   خِدْمَتَهُ ثُمَّ إلى الشَّامِ رَحَلْ
[١٢] وذاكَ بعدَ عامِ اثْنَيْ عَشَرْ[٤]   وكانَ مِن أمْرِ بَحِيرا ما اشْتَهَرْ

«ثُمَّ أَبُو طَالِبٍ العَمُّ كَفَلَ خِدْمَتَهُ»؛ ذلك أنَّ جدَّه عبدَ المطَّلب عندما حضَرته الوفاةُ؛ أوصَى بكفالتِه إلى عمِّه أبي طالب، وهُو الأخُ الشَّقيق لوالدِه عبد الله، وكان معروفًا باهتمامِه وعنايتِه بالنَّبيِّ ـ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ ـ، فتولَّى كفالة النَّبيِّ ـ عَلَيْهِ

---

(١) «صحيح مسلم»: رقم (٩٧٦).

(٢) في «د»: «مائة».

(٣) انظر: «السِّيرة النَّبوية» لابن هشام (١/ ١٨٣).

(٤) كذا ورد البيت في جميع النُّسخ وفيه نقص من جهة الوزن العروضي ولو قيل: «وكان ذاك بعد.. » لكان أسلم.

الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ، ومَن يطالع كُتبَ السِّيرة والأخبار يجد في هـٰذا البابِ أمورًا عجيبةً في نُصرة هـٰذا الرَّجل للنَّبيِّ الكريم ـ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ ومُؤازَرَتِه، مع أنَّه استمرَّ على غير الإسلام إلى أن مات.

قال ابنُ إسحاق: «وكان رسولُ الله ﷺ بعد جدِّه عبد المطَّلب مع عمِّه أبي طالب؛ لوصيَّة عبد المطَّلب له به، ولأنَّه كان شقيقَ أبيه عبد الله، أمُّهما فاطمةُ بنتُ عَمْرو، قال: فكان أبو طالب هو الَّذي يلي أمرَ رسولِ الله ﷺ»(١).

«**ثُمَّ إلى الشَّامِ رَحَلْ**»؛ ذكر هنا رحلةَ النَّبيِّ ـ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ الأولى إلى الشَّام مع عمِّه أبي طالب في سنٍّ مبكِّرة من حياتِه، وهـٰذه الرِّحلة هيَ من جملة اهتِمام عمِّه به، ورعايتِه له.

«**وَذَاكَ بَعْدَ عَامِ اثني عَشَرْ**»؛ مِن مَولِدِه ﷺ.

«**وَكَانَ مِنْ أَمْرِ بَحِيـرَا**» الرَّاهب.

«**مَا اشْتَهَرْ**» من أخبارٍ عجيبةٍ، وآياتٍ باهرةٍ.

قال ابنُ كثير: «وخرجَ به عمُّه إلى الشَّام في تجارةٍ ـ وهو ابنُ ثنتي عشرة سنة، وذلك من تمام لطفِه به، لعَدم مَن يقومُ به إذا تركَه بمكَّة ـ، فرأى هو وأصحابُه ممَّن خرج معه إلى الشَّام منَ الآيات فيه ﷺ ما زاد عمَّه في الوصاة به والحِرص عليه، كما رواه التِّرمذي في «جامعه» بإسنادٍ رجاله كلُّهم ثقات: من تظليل الغَمامة له، ومَيْل الشَّجرة بظلِّها عليه، وتبشير بحيرَا الرَّاهب به، وأمره لعمِّه بالرُّجوع به لئلَّا يراه اليهود فيرومونه

---

(١) انظر: «البداية والنِّهاية» (٣/ ٤٣٢)، و«السِّيرة النَّبويَّة» لابن هشام (١/ ١٩٥).

سوءًا، والحديثُ له أصلٌ محفوظٌ، وفيه زياداتٌ أُخَر»(١).

والخبر بطوله في «جامع التِّرمذي»(٢) من حديث أبي موسى الأشعري وحسَّنه، وقال ابنُ حجر: «إسناده قويٌّ»(٣)، وصحَّحه الحاكم والبيهقي وغيرُهما من أهل العلم.

[١٣] وَسَارَ نحوَ الشَّامِ أَشْرفُ الوَرَى ... في عَامِ خَمْسةٍ وعشرينَ اذْكُرَا
[١٤] لأُمِّنَا خَدِيجةٍ مُتَّجِرَا ... وَعَادَ فيهِ رَابِحًا مُسْتَبْشِرَا
[١٥] فكانَ فِيهِ عقْدُهُ عَلَيْها ... وبعدَهُ إفْضاؤُهُ إلَيْها

ذكر النَّاظم في هٰذه الأبيات الثَّلاثة رحلةَ النَّبيِّ ـ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ الثَّانية إلى الشَّام، وهي رحلةٌ لأجلِ التِّجارة بمالِ خديجةَ رضي الله عنها، وكانت سمعتْ عنه ذكرًا طيِّبًا، وخُلقًا فاضلًا، وأمانةً، وصدقًا، ووفاءً؛ فأحبَّت أن تُتاجر بمالها معه، بحيثُ يكون منها المال، ومنه ـ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ المتاجرة به، فسار ـ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ نحو الشَّام، قال:

«وَسَارَ نَحْوَ الشَّامِ»؛ متاجرًا بمال خديجة رضي الله عنها.

«أَشْرَفُ الوَرَى»؛ أي: أفضلُهم، وخيرُهم، ومقدَّمُهم، وإمامُهم صلواتُ الله وسلامُه عليه.

«فِي عَامِ خَمْسَةٍ وَعِشْرِينَ اذْكُرَا»؛ أي: لَمَّا بلغ منَ العُمر ـ صلواتُ الله وسلامُه عليه ـ خمساً وعشرين سنةً؛ خرج في رحلتِه الثَّانية إلى الشَّام؛ ليُتاجر بمالِ خديجة رضي الله عنها.

(١) «الفصول في سيرة الرَّسول ﷺ» لابن كثير (ص٥٧).
(٢) رقم (٣٦٢٠).
(٣) «فتح الباري» (٨/ ٧١٦)، وانظر: «المستدرك» (٢/ ٦١٦)، و«دلائل النُّبوَّة» للبيهقي (٢/ ٢٤)، و«صحيح السِّيرة» للألباني (ص٣١).

قال الحافظ ابنُ كثير: «ثمَّ خرج ثانيًا إلى الشَّام في تجارة لخديجة بنتِ خُوَيْلِد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مع غُلامها «مَيْسَرَة» على سبيل القِراض، فرأى ميسرةُ ما بَهَره من شأنِه، فرجَع فأخبر سيِّدتَه بما رأى، فرغِبَتْ إليه أن يتزَوَّجها لِمَا رجَتْ في ذلك من الخير الَّذي جمعَه الله لها، وفوقَ ما يخطُر ببالِ بشر، فتزوَّجها رسولُ الله ﷺ وله خمسٌ وعشرونَ سنةً»(١)، وكان لها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أربعونَ سنةً.

«**لِأُمِّنَا خَدِيجَةٍ**»؛ باعتبار أنَّها صارت بعدُ زوجًا للنَّبيِّ ـ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ، وقد قال الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ: ﴿وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَـٰتُهُمْ﴾ [الأحزاب: ٦].

«**مُتَّجِرَا**»؛ أي متاجرًا بمالها على وجه القِراض، ويُقال له أيضًا: «المُضاربة»؛ بحيث يكونُ من أحَد الشَّخصين المال، ومنَ الآخر العَملُ.

«**وَعَادَ فِيهِ**»؛ يعني عاد ـ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ من هـٰذه الرِّحلة التِّجارية بمال خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

«**رَابِحًا**»؛ لأنَّ التِّجارة في تلك الرِّحلة أربحت، ورجع ـ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ «**مُسْتَبْشِرَا**»؛ أي مسرورًا، فَرِحًا بما يسَّره الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ في هـٰذه الرِّحلة من خير، وما هيَّأه فيها من كَسْب.

«**فَكَانَ فِيهِ**»؛ أي هـٰذا العام، عام خمسة وعشرين من عُمره عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام.

«**عَقْدُهُ عَلَيْهَا وَبَعْدَهُ إِفْضَاؤُهُ إِلَيْهَا**»؛ أي أنَّه ـ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ عقد فيه على أمِّ المؤمنين خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وبنَى بها.

---

(١) «الفصول في سيرة الرَّسول ﷺ» (ص٥٨).

وكانت أوَّلَ امرأةٍ تزوَّجها رضي الله عنها، ولم يتزوَّج عليها غيرَها حتَّى ماتت، ولها فضائل وخصائص كثيرة، منها ما جاء في «الصَّحيحين»[(١)] عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما غِرْتُ على أحدٍ من نساء النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم ما غِرْتُ على خديجة، وما رأيتُها، ولكنْ كان النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم يُكثر ذكرَها، وربَّما ذبَحَ الشَّاة ثمَّ يُقَطِّعُها أعضاءً، ثُمَّ يبعثُها في صَدَائِق خَديجة، فربَّما قلتُ له: كأنَّه لم يكن في الدُّنيا امرأةٌ إلَّا خديجة؟! فيقول: «**إِنَّهَا كَانَتْ وَكَانَتْ، وَكَانَ لِي مِنْهَا وَلَدٌ**».

[١٦] وَوُلْـدُهُ مِنْهَـا خَـلا إبْـرَاهِيمْ ... فـالأوَّلُ القاسِـمُ حَـازَ التَّكْـرِيمْ

«**وَوُلْدُهُ**»: جمع وَلد، مثل أُسْد جمع أَسَد، يُطْلَق على الذُّكور والإناث: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ﴾ [النِّسَاءِ: ١١].

«**منها**»: أي: خديجة رضي الله عنها.

«**خَلاَ إِبْرَاهِيمَ**»: أي: عدا إبراهيم؛ فأمُّه ماريَّة القبطيَّة رضي الله عنها.

«**فَالْأَوَّلُ الْقَاسِمُ**»: أي: أوَّلهم القاسم، فلهـٰذا يُكنَّى به ـ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ؛ لكونه أوَّل أولادِه.

«**حَازَ التَّكْرِيم**»: حاز الشَّيءَ يَحُوزُه حَوْزًا؛ إذا جمَعَه، أي جمع التَّكريم.

[١٧] وزينَـبٌ رُقَيَّـةٌ وفَاطِمَـهْ ... وأمُّ كُلثُـومٍ لَهُـنَّ خَاتِمَـهْ

هـٰؤلاء أربعُ بناتٍ للنَّبيِّ ـ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ، وجميعُهنَّ أدركنَ الإسلام؛

---

(١) «صحيح البخاري»: رقم (٣٨١٨)، ومسلم: رقم (٢٤٣٥).

فأسْلَمْن وهاجَرْنَ مع رسولِ الله ﷺ.

روى ابنُ سعد في «الطَّبقات»[1] بسنده عن ابن عبَّاس قال: «كان أوَّل من وُلد لرسولِ الله ﷺ بمكَّةَ قبل النُّبوَّة: القاسم، وبه كان يُكنَّى، ثمَّ وُلد له زَيْنَب، ثمَّ رقيَّة، ثمَّ فاطمة، ثمَّ أمُّ كُلْثُوم، ثمَّ وُلد له في الإسلام عبد الله، فسُمِّي الطَّيِّب والطَّاهر، وأمُّهم جميعًا خديجةُ بنتُ خُوَيْلد».

«**وَأُمُّ كُلْثُومٍ لَهُنَّ خَاتِمَه**»؛ أي أنَّها أصغر بناتِ النَّبيِّ ـ صلواتُ الله وسلامُه عليه ـ، على خلافٍ بينَ أهل العلم في ذلك.

قال ابنُ عبد البرِّ في «الاستيعاب»[2]: «والاختلاف في الصُّغرى من بناتِ رسولِ الله ﷺ كثيرٌ، والاختلافُ في أكبرهنَّ شذوذٌ، والصَّحيح أنَّ أكبرهنَّ زَيْنَب».

وقال ابنُ حجر في «الفتح»[3]: «والمتَّفق عليه من أولاده منها: القَاسم، وبه كان يُكنَّى، مات صغيرًا قبل المَبعث أو بعدَه، وبناتُه الأربع: زينب، ثمَّ رقيَّة، ثمَّ أمُّ كُلثوم، ثمَّ فاطمة، وقيل: كانت أمُّ كلثوم أصغَر من فاطمَة».

[١٨] والطَّاهرُ الطَّيِّبُ عبدُ اللهِ   وَقيل كلُّ اسْمٍ لِفَرْدٍ زَاهِي

أي: أنَّ «الطَّاهر» و«الطَّيِّب» لقَبان لـ«عبد الله»، وليسا ابنَيْن آخرين للنَّبيِّ ـ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ.

---

(١) (١/ ١٣٣).

(٢) (٤/ ٤٨٦ ـ بهامش «الإصابة»).

(٣) (٧/ ١٦٢).

«وَقِيلَ: كُلُّ اسْمٍ لِفَرْدٍ»؛ وهـٰذا قولٌ آخَر حكاه على وجه التَّضعيف[١]، وهُو أنَّ هذه الأسماء لثلاثة أفرادٍ، وعلى هـٰذا القول يكونُ أبناؤه الذُّكور منها أربعة.

«زَاهِي»؛ أي: جميلٌ مشرِقٌ.

[١٩] والكُلُّ في حَياتِهِ ذَاقُوا الحِمَامْ ... وَبَعْدَهُ فاطمةٌ بِنِصْفِ عَامْ

«وَالكُلُّ»؛ يعني جميع أولادِه.

«فِي حَيَاتِهِ» ﷺ.

«ذَاقُوا الحِمَامْ»؛ أي الموتَ، فمنهُم مَن ذاقَ الموتَ مبكِّرًا قبل المَبعث، ومنهُم مَن تأخَّر إلى ما بعد المَبعث؛ بل إلى ما بعد هجرةِ النَّبيِّ ﷺ إلى المدينة، إلَّا فاطمة رضي الله عنها؛ فإنَّ وفاتَها كانت بعدَه، ولذا قال:

«وَبَعْدَهُ فَاطِمَةٌ بِنِصْفِ عَامْ»؛ أي بعد وفاةِ النَّبيِّ ﷺ بستَّة أشهر.

ففي «الصَّحيحين»[٢] عن عائشة رضي الله عنها: «أنَّ فاطمة رضي الله عنها عاشَت بعد رسُول الله ﷺ ستَّة أشهر».

وفيهما أيضًا[٣] عن عائشة رضي الله عنها قالت: «أقبلتْ فاطمة تَمْشِي كَأَنَّ مِشْيَتَها مَشْيُ النَّبيِّ ﷺ، فقالَ النَّبيُّ ﷺ: «مَرْحَبًا بِابْنَتِي»، ثمَّ أجلَسَها عن يمينِه أو عنْ شمالِه، ثمَّ أسرَّ

---

(١) قال ابن حجر في «الفتح» (٧/ ١٦٢): «وعبد الله وُلد بعد المبعَث، فكان يُقَال له: الطَّاهر والطَّيِّب، ويُقال: هما أَخَوَان له، وماتت الذُّكور صغارًا باتِّفاق».

(٢) «صحيح البخاري» رقم (٤٢٤٠، ٤٢٤١)، ومسلم رقم (١٧٥٩).

(٣) «صحيح البخاري» رقم (٣٦٢٣، ٦٢٨٦)، ومسلم رقم (٢٤٥٠).

إليها حديثًا فبكَتْ، فقُلتُ لها: لِمَ تبكين؟ ثمَّ أسرَّ إليها حديثًا فضَحِكَت، فقلتُ: ما رَأَيْتُ كاليوم فرحًا أقربَ من حُزْنٍ! فسألتُها عمَّا قالَ، فقالت: ما كنتُ لأُفْشِيَ سرَّ رسُولِ الله ﷺ، حتَّى قُبض النَّبيُّ ﷺ فسألتُها؛ فقالتْ: أسَرَّ إليَّ: «**إنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُنِي القُرْآنَ كُلَّ سَنَةٍ مَرَّةً، وَإِنَّهُ عَارَضَنِي العَام مَرَّتَيْنِ، وَلَا أُرَاهُ إلَّا حَضَرَ أَجَلِي، وَإِنَّكِ أَوَّلُ أَهْلِ بَيْتِي لَحَاقًا بِي**»، فبكيتُ؛ فقال: «**أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ أَهْلِ الجَنَّةِ أَوْ نِسَاءِ المُؤْمِنِينَ**»، فضحكتُ لذلكَ».

[٢٠] وبعدَ خمسٍ وثلاثينَ حَضَرْ بُنْيانَ بيتِ اللهِ لَمَّا أنْ دَثَرْ

في هذا البيت ذكَر النَّاظم شُهُودَ النَّبيِّ ﷺ بنيانَ المشركين لبيتِ الله الحرام، وكانت هـٰذه الحادثة لَمَّا بلغَ سنُّ النَّبيِّ ﷺ خمسًا وثلاثين سنةً.

قال ابنُ إسحاق: «فلمَّا بلغ رسُولُ الله ﷺ خمسًا وثلاثين سنةً اجتمَعت قريشٌ لبُنيان الكَعبة»[1].

ذلك أنَّ بناءَ البيتِ قد اختلَّ وتصدَّع بسبب سيْلٍ عارمٍ أوْهَنَ أساسَه، وصدَّعَ جُدرانَه؛ فاحتاجَ إلى أن يُعاد بناؤه من جَديد، وكان ـ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ حضَر ذلك وشَهِده، بل ثبتَ أنَّه ﷺ كان شارك في نَقل الحِجارة كما في «الصَّحيحين»[2] عن جابر ابن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «لَمَّا بُنيت الكعبةُ؛ ذهبَ النَّبيُّ ﷺ وعبَّاس ينقُلان الحِجَارة، فقال عبَّاس للنَّبي ﷺ: اجعَل إزَارَكَ عَلى رقَبَتِك يَقِيكَ منَ الحجارَةِ، فخرَّ إلى الأرض وطَمَحتْ عيناهُ

---

(١) «السِّيرة النَّبويَّة» لابن هشام (١/ ٢١٠).

(٢) «صحيح البخاري» رقم (٣٨٢٩)، ومسلم رقم (٣٤٠).

إلى السَّماء ثمَّ أفاقَ، فقَال: «إِزَارِي، إِزَارِي»، فشدَّ عليه إزارهُ»، صلواتُ الله وسلامُه عليه.

[٢١] وحكَّمُوهُ ورَضُوا بِمَا حَكَمْ فِي وَضْعِ ذَاكَ الحجَرِ الأَسْوَدِ ثَمْ(١)

كان قد حصَل اختلافٌ شديدٌ بين القبائل من قريش لَمَّا وصلوا إلى موضِع الحجر الأسود، مَنْ مِنْهُم يضَع الحجَرَ الأسود مكانَه؟ وهُم يعرفون حُرمة هٰذا الحجر ومكانتَه وفضلَه، وكلُّ قبيلةٍ تريدُ أن تحظى بهذا الشَّرف، ولهٰذا اختَصموا واختَلفوا اختِلافًا شديدًا في ذلك، فحكَّموه ورضُوا بحُكمِه، وازداد ـ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ بذلك قدرًا فوقَ قَدْره، ومكانةً فوقَ مكانتِه.

قال ابنُ إسحاق: «ثمَّ إنَّ القبائل من قريش جمعَت الحجارةَ لبنائها، كلُّ قبيلة تجمَع على حِدَةٍ، ثمَّ بَنَوْهَا، حتَّى بلغَ البنيانُ موضعَ الرُّكن [أي الحجَر الأسود] فاختصموا فيه، كلُّ قبيلةٍ تريد أن تَرفعَه إلى موضعِه دونَ الأخرى، حتَّى تحاوَرُوا(٢) وتحالَفُوا وأعدُّوا للقِتال، فقرَّبت بنو عبد الدَّار جَفْنَةً مملوءةً دمًا، ثمَّ تعاقَدوا هُم وبنو عَدِي بن كَعْب ابن لُؤَي على الموتِ، وأدخلوا أيديَهم في ذلك الدَّم في تلك الجفْنَة، فسُمُّوا: «لَعَقَةَ الدَّم»، فمكثَت قُريش على ذلكَ أربعَ ليالٍ أو خمسًا، ثمَّ إنَّهم اجتمَعوا في المسجد، وتشَاوروا، وتناصَفُوا.

فزعم بعضُ أهل الرِّواية: إنَّ أبا أميَّة بنَ المُغِيرة بن عبد الله بن عُمَر بن مَخْزُوم، وكان عامئِذٍ أسَنَّ قريشٍ كلِّها، قال: يا معشَر قريش! اجعلُوا بينكم ـ فيما تختلفون فيه ـ

(١) في «د»: «الحجر أن سود تم».

(٢) وتروى: «تحاوزوا» بالزَّاي، أي: انحازت كلُّ قبيلة إلى جهة.

أَوَّلَ مَن يدخُل مِن بابِ هـٰذا المسجد، يقضِي بينكُم فيه، ففَعلوا، فكانَ أَوَّلَ داخلٍ عليهم رسولُ الله ﷺ، فلمَّا رأوه قالوا: هـٰذا الأمين، رضِينا، هـٰذا محمَّد؛ فلمَّا انتهى إليهم وأخبروه الخبَر، قال ﷺ: هلمَّ إليَّ ثوبًا، فأُتي به، فأَخَذ الرُّكن فوضَعَه فيه بيدِه، ثمَّ قال: لِتأْخُذ كلُّ قبيلة بناحيةٍ من الثَّوب، ثمَّ ارفعوه جميعًا، حتَّى إذا بلغوا به جميعًا موضعَه؛ وضعَه هو بيدِه، ثمَّ بُنيَ عليه»[١].

وهـٰذا الَّذي ذكره ابنُ إسحاق يشهَد له ما رواه الإمامُ أحمد[٢] عن مجاهد عن مولاه ـ أنَّه كان فيمن يبني الكعبةَ في الجاهليَّة ـ قال: ولي حجَرٌ ـ أنا نحتُّه بيديَّ ـ أعبدُه من دونِ الله تبارك وتعالى، فأجِيءُ باللَّبَن الخَاثِر الَّذي أنفَسُه على نفسِي، فأصبُّه عليه؛ فيجيء الكلبُ فيَلْحَسُه، ثمَّ يَشْغَرُ فيبُول، فبَنَيْنا حتَّى بلغْنَا موضِعَ الحجَر، وما يَرَى الحجَرَ أحدٌ، فإذا هُو وسَط حجارَتِنَا مثْل رَأس الرَّجُل يكادُ يتَراءى منه وجْهُ الرَّجُل، فقالَ بطنٌ من قُريش: نحنُ نضَعُه، وقال آخرون: نحنُ نضَعُه، فقالوا: اجعَلُوا بينكُم حَكَمًا، قالوا: أوَّل رجُلٍ يطلُعُ من الفَجِّ، فجاء النَّبيُّ ﷺ، فقالوا: أتاكُم الأمينُ، فقالوا له، فوضَعَهُ في ثَوْبٍ، ثمَّ دعا بطونَهم، فأخَذُوا بنَواحِيه معه، فوضَعَهُ هو ﷺ.

[٢٢] وبَعْـدَ عَـامِ أَرْبعـينَ أُرْسِـلا ... فِي يَـوْمِ الاثْـنَين يَقِينًـا فَـانْقُلا

«**وَبَعْدَ عَامِ أَرْبَعِينَ أُرْسِلاَ**»؛ أي بعد أن أكمَل الأربعِين سنةً بُعِث ـ صلواتُ الله وسلامُه عليه ـ رحمةً للعالمين، وكافَّةً للنَّاس بشيرًا ونذيرًا.

---

(١) «السِّيرة النَّبوية» لابن هشام (١/ ٢١٤ ـ ٢١٥).

(٢) في «المسند»: رقم (١٥٥٠٤)، قال الألباني في «صحيح السِّيرة» (ص٤٥): «إسناده حسن».

وهـٰذا مرويٌّ عن ابن عبَّاس وجُبَير بن مُطْعِم وغيرِهما من الصَّحابة والتَّابعين، جاء في «الصَّحيحين»[١] عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما قال: «بُعثَ رسولُ الله ﷺ لأربعينَ سنةً، فمكثَ بمكَّة ثلاثَ عَشْرَةَ سنةً يُوحَى إليه، ثمَّ أُمِر بالهجرَةِ فهاجَر عشرَ سِنين، وماتَ وهُو ابنُ ثلاثٍ وستِّين».

«**فِي يَوْمِ الِاثْنَيْنِ**»؛ أي: أنَّ المبعثَ كان في يوم الاثنين.

«**يَقِينًا فَانْقُلَا**»؛ أي: متحقَّقًا متيقَّنًا، لا خلافَ فيه؛ لأنَّه ثابتٌ في الحديث الصَّحيح عن رسولِ الله ﷺ ففي «صحيح مسلم»[٢] عن أبي قَتادة الأنصاري رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ سُئل عن صَوم الاثْنَين، قال: «**ذَاكَ يَوْمٌ وُلِدْتُ فِيهِ، وَيَوْمٌ بُعِثْتُ أَوْ أُنْزِلَ عَلَيَّ فِيهِ**».

[٢٣] فِي رَمَضَانَ أَوْ رَبِيعِ الأَوَّلِ ... وَسُورَةُ اقْرَأْ أَوَّلُ المُنَزَّلِ

«**فِي رَمَضَانَ أَوْ رَبِيعِ الأَوَّلِ**»؛ يشير إلى الخلافِ الواقع في الشَّهر الَّذي بُعث فيه النَّبيُّ ـ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ بعد الاتِّفاق على أنَّه كانَ في يوم الاثنين.

قال ابنُ القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه «زاد المعاد»[٣]: «ولا خلافَ أنَّ مَبعثه ﷺ كان يومَ الاثنين، واخْتُلِفَ في شهرِ المبعَث؛ فقيل: لثمانٍ مَضين من ربيع الأوَّل، سنةَ إحدى وأربعين من عام الفِيل، هـٰذا قول الأكثَرين.

وقيل: بل كانَ ذلك في رمضانَ، واحتجَّ هـٰؤلاء بقول الله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ

---

(١) «صحيح البخاري»: رقم (٣٩٠٢)، و«صحيح مسلم»: رقم (٢٣٥١).

(٢) رقم (١١٦٢).

(٣) (١/ ٧٧ـ ٧٨).

﴿ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ [البقرة: ١٣٥]، قالوا: أوَّل ما أكرمَه الله أن أنزَلَ عليه القُرآن، وإلى هـٰذا ذهب جماعة...

والأوَّلون قالوا: إنَّما كان إنزالُ القُرآنِ في رمضانَ جملةً واحدةً في ليلةِ القَدر إلى بيتِ العزَّة، ثمَّ أُنزل منجَّمًا بحَسب الوقائع في ثلاثٍ وعشرينَ سنةً».

«**وَسُورةُ اقْرَأْ أَوَّلُ المُنَزَّلِ**»؛ من سُوَر القُرآن على الرَّسول الكريم ـ صلواتُ الله وسلامُه عليه ـ، كما ثبتَ ذلك في «الصَّحيحين»[1] عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

[٢٤] ثـمَّ الوُضُـوءَ والـصَّلاةَ علَّمَـهْ   جبريـلُ وَهْـيَ ركعتَـانِ مُحْكَمَـهْ

هـٰذا في مبدأ الأمر، وفي أوَّل المَبعث، قال ابنُ إسحاق[2]: «وحدَّثني بعضُ أهل العِلم: أنَّ الصَّلاة حينَ افتُرِضَت على رسولِ الله ﷺ أتاه جبريل ـ وهو بأعلى مكَّة ـ فهمَز له بعقِبه في ناحيةِ الوادي؛ فانفجَرت منه عينٌ، فتوضَّأ جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، ورسولُ الله ﷺ ينظُر إليه؛ ليُريه كيفَ الطّهور للصَّلاة، ثمَّ توضَّأ رسولُ الله ﷺ كما رأى جبريلَ توضَّأ، ثمَّ قام به جبريل فصلَّى به، وصلَّى رسولُ الله ﷺ بصلاتِه، ثمَّ انصرفَ جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ.

فجاء رسولُ الله ﷺ خديجَةَ؛ فتوضَّأ لها ليُريها كيف الطّهور للصَّلاة كما أَراه جبريل، فتوضَّأت كما توضَّأ لها رسولُ الله ـ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ، ثمَّ صلَّى بها رسولُ الله ﷺ كما صلَّى به جبريلُ فصلَّت بصلاتِه».

---

(١) «صحيح البخاري»: رقم (٣)، و«مسلم»: رقم (١٦٠، ١٦١).

(٢) «السِّيرة النَّبويَّة» لابن هشام (١/ ٢٦٢).

قال السُّهيلي في «الرَّوض الأُنُف»[1]: «وهـٰذا الحديثُ مقطوعٌ في السِّيرة، ومثلُه لا يكون أصلًا في الأحكام الشَّرعيَّة؛ ولكنَّه قد رُوي مسندًا إلى زَيْد بن حارثة ـ يرفعُه ـ، غير أنَّ هـٰذا الحديث المسنَد يدور على عبد الله بن لهيعة وقد ضُعِّف».

وحديثُ زيد المُشار إليه رواه الإمام أحمد وابن ماجه والحاكم وغيرهم[2] عن زيد ابن حارثة مولى النَّبيِّ ﷺ عن النَّبيِّ ﷺ: «**أنَّ جِبرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أتاهُ في أوَّلِ ما أُوحِيَ إلَيْه، فعلَّمَه الوُضُوءَ والصَّلاةَ، فلَمَّا فَرَغَ منَ الوُضُوءِ أَخَذَ غَرْفَةً منْ مَاءٍ فَنَضَح بها فَرْجَهُ**»، وفي سنده ابن لهيعة، ولـٰكنَّه تُوبع، ولهـٰذا أورده الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «السِّلسلة الصَّحيحة»[3].

[٢٥] ثُـمَّ مَـضَتْ عِـشْرُونَ يومًـا كَامِلَـهْ فرَمَـتِ الجِـنَّ نُجُـومٌ هَائِلَـهْ

«**ثُمَّ مَضَتْ عِشْرُونَ يَوْمًا كَامِلَهْ**»؛ من مَبعث النَّبيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

«**فرَمَتِ الجنَّ**»؛ أي: مُسْتَرِقِي السَّمع.

«**نجومٌ**»؛ أي: الشُّهُب، قال اللهُ تعالى مخبرًا عن الجنِّ بعد حراسة السَّماء بالشُّهُب: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْءَانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾﴾ [سُورَةُ الجِنِّ].

«**هَائِلَهْ**»؛ أي: من الهَوْل، وهو المَخافة منَ الأَمر لا يدري ما يهجُم عليه منه.

قال ابنُ الجوزي: «قال العلماءُ بالسِّير: رأت قُريشٌ النُّجومَ يُرمى بها بعد عشرين

---

(١) (٣/ ١٣).

(٢) «المسند»: رقم (١٧٤٨٠)، و«سنن ابن ماجه» (٤٦٢)، و«المستدرك» (٣/ ٢١٧).

(٣) رقم (٨٤١).

يومًا من مبعثِ رسولِ الله ﷺ»(١).

روى الإمام أحمد والتِّرمذي وغيرهما عن ابن عبَّاس، قال: «كان الجِنُّ يَصعدون إلى السَّماء يسمَعُون الوحيَ، فإذا سمعُوا الكلمةَ زادوا فيها تسعًا، فأمَّا الكلمةُ فتكون حقًّا، وأمَّا ما زاد فيكونُ باطلًا، فلمَّا بُعث رسولُ الله ﷺ مُنِعوا مقاعدَهم، فذكَروا ذلك لإبليس، ولم تكن النُّجومُ يُرمى بها قبلَ ذلك، فقال لهم إبليس: ما هذا إلَّا مِنْ أمرٍ قد حَدَث في الأرض، فبعثَ جنودَه فوجَدُوا رسولَ الله ﷺ قائمًا يصلِّي بينَ جبَلَيْن ـ أُراه قال: بمكَّة ـ، فأتوه؛ فأخبَروه، فقال: هذا الحدَث الَّذي حَدَث في الأرض»(٢).

[٢٦] ثــمَّ دَعَــا فِي أَرْبَــعِ(٣) الأَعْــوَامِ بـــالأَمْرِ جَهْــرةً إِلى الإِسْــلامِ

يشير إلى بدء الدَّعوة الجهريَّة، وأنَّها في السَّنة الرَّابعة من المَبعث، وقبلَ ذلك كان ـ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ يدعو إلى الإسلام سرًّا.

قال ابنُ القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ في «زاد المعاد»(٤): «وأقام ﷺ بعد ذلكَ ثلاثَ سنين يدعُو إلى الله ـ سبحانه ـ مستخفيًا، ثمَّ نزل عليه: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾﴾ [سُورَةُ الحِجْرِ]؛ فأعلنَ ﷺ بالدَّعوة، وجاهر قومَه بالعداوة، واشتدَّ الأذى عليه وعلى

(١) «صفة الصَّفوة» (١/ ٨٥)، وانظر: «البدء والتَّاريخ» لمطهر بن طاهر المقدسي (٤/ ١٤٤)، و«إمتاع الأسماع» للمقريزي (٥/ ٦).

(٢) أخرجه أحمد في «المسند»: رقم (٢٩٧٧)، والتِّرمذي: رقم (٣٣٢٤)، وقال: «حديث حسن صحيح»، وصحَّحه الألباني.

(٣) كذا في جميع النُّسخ، ولعلَّ الأولى: «رابع».

(٤) (١/ ٨٦).

المسلمين حتَّى أَذِنَ الله لهم بالهجرتَيْن».

[٢٧] ورابعٌ[(١)] مِنَ النِّسَا واثْنَا عَشَرْ — من الرِّجَالِ الصَّحْبِ كلٌّ قَدْ هَجَر
[٢٨] إلى بلادِ الحُبْشِ في خَامِسِ عَامْ — وفيه عادوا ثمَّ عَادُوا لا مَلامْ

ذكَر هُنا الهجرتَيْن إلى الحبشة الأولى والثَّانية.

«**وَرَابعٌ مِنَ النِّسَا وَاثْنَا عَشَرْ مِنَ الرِّجَالِ**»؛ هـٰذا عددُ المهاجرين في المرَّة الأولى.

«**كُلٌّ قَدْ هَجَرَ إِلَى بِلاَدِ الحُبْشِ**»؛ أي: جميعُهم هاجروا إلى بلاد الحَبشة.

«**فِي خَامِسِ عَامْ**»؛ أي من مَبعثِ النَّبيِّ صلواتُ الله وسلامُه عليه.

«**وَفِيهِ عَادُوا**»؛ أي في العام نفسِه، العام الخامس.

«**عَادُوا**» إلى مكَّة؛ لأنَّه بلغَهم أنَّ الأمور صلحَت، والحالُ طابَت، والأذى انتهى، فرجعُوا منَ الحبشة إلى مكَّة، ولمَّا وصلوا أو قاربُوا الوُصولَ إلى مكَّة تبيَّن لهم أنَّ الأمر بخلافِ ذلك، فمنهُم مَن دخَل مكَّة، ومنهُم مَن رجَع إلى بلاد الحَبَشَة.

«**ثُمَّ عَادُوا**» إلى بلاد الحَبَشة.

«**لَا مَلاَمْ**»؛ أي: في ذلك.

[٢٩] ثَلاثَةٌ هُمْ وثَمانُونَ[(٢)] رَجُلْ — وَمَعْهُمُ جَمَاعَةٌ حتَّى كَمُلْ
[٣٠] وَهُنَّ عَشْرٌ وثَمَانٍ ثُمَّ قَدْ — أَسْلَمَ في السَّادِسِ حَمْزَةُ الأَسَدْ

«**ثَلاَثَةٌ هُمْ وَثَمانُونَ رَجُلْ**»؛ أي: عددُ المهاجرين في الهجرة الثَّانية من الرِّجال ثلاثةٌ

(١) كذا في جميع النُّسخ، ولعلّ الأولى: «وأربع».

(٢) في «ت»: «ثلاثة وهم ثمانون».

وثمانون رجلًا.

«**وَهُنَّ عَشْرٌ وثَمانٍ**»؛ أي: ومنَ النِّساء ثماني عشرة امرأة.

قال ابنُ القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه «زاد المعاد»[(١)]: «لَّما كَثُر المسلمون وخاف منهُم الكفَّارُ؛ اشتدَّ أذاهم له ﷺ، وفتنتُهم إيَّاهم؛ فأذِنَ لهم رسولُ الله ﷺ في الهجرة إلى الحبشة، وقال: «**إِنَّ بِهَا مَلِكًا لَا يُظْلَمُ النَّاسُ عِنْدَهُ**»، فهاجر منَ المسلمين اثنا عشر رجلًا وأربع نسوةٍ، منهم عثمان بن عفَّان، وهو أوَّل من خَرج ومعَهُ زوجتُه رقيَّة بنت رسولِ الله ﷺ؛ فأقاموا في الحبشة في أحسَن جِوار.

فبلغَهم أنَّ قريشًا أسلمَت ـ وكان هـٰذا الخبر كذبًا ـ؛ فرجعُوا إلى مكَّة، فلمَّا بلغهم أنَّ الأمر أشدُّ ممَّا كانَ، رجَع منهُم مَن رجَع، ودخَل جماعةٌ فلَقُوا من قريشٍ أذًى شديدًا، وكان ممَّن دخل عبدُ الله بن مسعود، ثمَّ أُذِن لهم في الهجرة ثانيًا إلى الحبشة؛ فهاجر مِن الرِّجال ثلاثةٌ وثمانونَ رجلًا ـ إن كان فيهم عمَّار، فإنَّه يشَكُّ فيه ـ، ومن النِّساء ثمان عشرة امرأة، فأقاموا عند النَّجاشي على أحسن حال، فبلغَ ذلك قريشًا، فأرسلوا عَمْرو بن العاص وعبد الله بن أبي رَبيعة في جماعةٍ ليَكِيدوهم عند النَّجاشي، فردَّ اللهُ كيدَهم في نُحُورهم».

«**ثُمَّ قَدْ أَسْلَمَ فِي السَّادِسِ**»؛ من المَبعث بعد دخُول رسولِ الله ﷺ دارَ الأرقَم، وقيل: في السَّنة الثَّانية[(٢)] «**حَمْزَةُ الأَسَدْ**» عمُّ النَّبيِّ ﷺ وأخُوه منَ الرَّضاعة، وكان في

---

(١) (١/ ٩٧ـ٩٨).

(٢) انظر: «الاستيعاب» لابن عبد البرِّ (١/ ٢٧١ ـ بهامش «الإصابة» لابن حجر)، ويُراجَع في سبب إسلامِه رضي الله عنه ما جاء في «البداية والنِّهاية» لابن كثير (٣/ ٢٨ ـ ٢٩).

إسلامِه نصرةٌ للدِّين، وعِزٌّ للمسلمين.

وأسلَم مِن بعدِه بأيَّام قلائل عُمَر بن الخطَّاب رضي الله عنه فكانَ إسلامُهما فتحًا عظيمًا، أعزَّ اللهُ بهما الإسلامَ والمسلمين.

[٣١] وَبَعْـدَ تِـسْعٍ مِـن سِـنِيْ رِسَـالَتِهْ مَـاتَ أَبُـو طالـبَ ذُو كَفَالَتِـهْ
[٣٢] وبعــدَهُ خَدِيجــةٌ تُوُفِّيَــتْ مِــنْ بعــدِ أَيَّـامٍ ثلاثــةٍ مَـضَتْ

ذكر في هذين البيتين وفاةَ عمِّه أبي طالب ووفاةَ زوجِه خديجة رضي الله عنها، وكان ذلكَ في السَّنة التَّاسعة.

«مِنْ سِنِي رِسَالَتِهْ»؛ أي من مَبعثه صلى الله عليه وسلم؛ أي: في السَّنة التَّاسعة من البعثة.

«مَاتَ أَبُو طَالِبَ ذُو كَفَالَتِهْ»؛ أي الَّذي قام على كَفالة النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم بعد موتِ جدِّه عبد المطَّلب، وكان ناصرًا للنَّبيِّ صلى الله عليه وسلم ومؤازرًا.

«وبعدَهُ خَدِيجَةٌ تُوُفِيَّتْ»؛ في القَول المشهور عند أهل السِّير.

قال ابنُ كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في «البداية والنِّهاية»(١): «فصلٌ في وفاة أبي طالب عمِّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثمَّ مِن بعدِه خديجة بنت خُويلد زوجة رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ورضيَ الله عنها ـ وقيل: بل هي تُوفِّيت قبلَه، والمشهور الأوَّل، وهذان المُشْفِقان؛ هـٰذا في الظَّاهر [أي: أبو طالب]، وهـٰذه في الباطن، وهـٰذا كافرٌ، وهـٰذه مؤمنةٌ صِدِّيقةٌ رَضِيَ اللهُ عَنْها وأرضاها.

قال ابنُ إسحاق: ثمَّ إنَّ خديجة وأبا طالبٍ هلكا في عام واحد، فتتابعت على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم المصائبُ بِهُلْكِ خديجة؛ وكانت له وزيرَ صِدْقٍ على الابتلاء يسكُن إليها،

(١) (٤/ ٣٠٤).

وبهُلْكِ عمِّه أبي طالب؛ وكان له عضدًا وحِرْزًا في أمره، ومنعةً وناصرًا على قومِه، وذلكَ قبل مُهَاجَره إلى المدينة بثلاث سنين، فلمَّا هَلك أبو طالب نالت قريشٌ من رسولِ الله ﷺ منَ الأذى ما لم تكن تطمَعُ به في حياةِ أبي طالب».

«**مِنْ بَعْدِ أَيَّامٍ ثَلَاثَةٍ مَضَتْ**»؛ لم يختَلف أهلُ العلم بالسِّير أنَّ خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وأبا طالب ماتَا في عامٍ واحدٍ، ولٰكن اختَلفوا في الأسبَق، وفي المدَّة الَّتي بين وفاتَيْهما، والمشهورُ أنَّ خديجة توفِّيت بعد أبي طالب بثلاثةِ أيَّام، قال ابنُ كثير: «قال البيهقي: بلغَني أنَّ خديجة توفِّيت بعد موتِ أبي طالب بثلاثةِ أيَّام، ذكَره عبد الله بن مَنْدَه في كتاب «المعرفة»، وشيخُنا أبو عبد الله الحافظ»[1].

[٣٣] وبعـدَ خَمـسينَ[2] ورُبْـعٍ أَسْـلَمَا ... جِـنُّ نَـصِيبِينَ وعَـادُوا فَاعْلَمَـا

«**وبعدَ خَمْسِينَ**»؛ مِن مولدِه ـ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ «**وَرُبْعٍ**»؛ أي ورُبْع عامٍ وهُو ثلاثَة أشهر.

«**أسلَمَا جِنُّ نَصِيبِين**»؛ أي: أسلَم جنُّ نصيبين بعد خمسين عامًا وثلاثة أشهر؛ من عُمْر النَّبيِّ ﷺ، هذا ما ذكَره غير واحدٍ من أهلِ العلم في كُتُب السِّيرة.

قال ابنُ الجوزي في «صفة الصَّفوة»[3]: «فلمَّا أتت لرسولِ الله ﷺ خمسونَ سنةً وثلاثةُ أشهُرٍ قدِمَ عليه جنُّ نَصِيبين فأسلَموا».

---

(١) المرجع السَّابق (٤/ ٣١٦).

(٢) في «د»: «خمس»، وهو خطأ.

(٣) (١/ ١٠٨).

وجاء في «ألفيَّة السِّيرة» للحافظ العِراقي[١]:

وبعدَ أن مَضتْ لَهُ خَمْسُونَا ... ورُبْعُ عَامٍ جَاءَهُ يَسْعَوْنَا
جِنُّ نَصِيبينَ لَهُ وَكَانَا ... يَقْرَأُ في صَلاتِهِ قُرْآنَا
بِنَخْلَةٍ فاسْتَمَعُوا وَأَسْلَمُوا ... ورَجَعُوا فَأَنْذَرُوا قَوْمَهُمُ

وكان ذلك بعد خروجِه ـ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ إلى الطَّائف، قال ابنُ كثير في «تفسيره»[٢]: «وذكر محمَّد بن إسحاق عن يزيد بن رُومَان عن محمَّد بن كَعْب القُرَظي قصَّة خروج رسُول الله ﷺ إلى الطَّائف ودعائه إيَّاهُم إلى الله عَزَّوَجَلَّ وإبائِهم عليه، فذكر القصَّة بطُولها، وأوردَ ذلك الدُّعاء الحسَن: «**اللَّهُمَّ إِلَيْكَ أَشْكُو ضعْفَ قُوَّتِي، وَقِلَّةَ حِيلَتِي**» إلى آخره، قال: فلمَّا انصرفَ عنهم باتَ بنخلة، فقَرأ تلك الآيات من القرآن فاستَمعه الجنُّ من أهل نصيبين».

«**نَصِيبِينَ**»؛ بفتح النُّون: بلدةٌ بين تركيا وسوريا.

«**وعَادُوا فَاعْلَمَا**»؛ أي عادوا لأهلِهم مُنذِرين، ودُعاةً إلى توحيد الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ، كما قال الله: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [سُورَةُ الأَحْقَافِ]، وهـٰذا فيه أنَّ النَّبيَّ ـ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ بُعث للإنس والجنِّ كافَّة.

---

(١) (ص٦٤).

(٢) (٧/ ٢٩٠)، وانظر: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٤٤٤ ـ ٤٤٧).

[٣٤] ثُمَّ عَلَى سَوْدَةَ أَمْضَى عَقْدَهُ فِي رَمَضَانَ ثُمَّ كَانَ بَعْدَهُ
[٣٥] عقدُ ابنةِ الصِّدِّيقِ فِي شَوَّالِ ....

«ثُمَّ عَلَى سَوْدَةَ»؛ هٰذا عُطِف على ما سبق، وقَد ذكر فيما سَبق وفاة خديجة زوج النَّبيِّ ـ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ وهي الزَّوجة الَّتي لم يتزوَّج النَّبيُّ ﷺ عليها غيرها إلى أن تُوفِّيت رضي الله عنها، فبعد وفاتِها بفَترة يسيرةٍ «أَمْضَى عَقْدَهْ» ﷺ على سَوْدَة وهي بنتُ زَمْعَة ابن قَيْس القُرَشِيَّة رضي الله عنها، وكانت قبله عند السَّكْرَان بن عَمْرو رضي الله عنه، وكانت هيَ وإيَّاه ممَّن هاجروا إلى الحبشة، ثمَّ لمَّا رجعوا إلى مكَّة أقام معها زوجُها في مكَّة إلى أن توفِّي رضي الله عنه.

والنَّبيُّ ـ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ تزوَّج بسَوْدة وأمضى عقدَهُ عليها «فِي رَمَضَانَ» قبل مهاجَره ـ صلواتُ الله وسلامُه عليه ـ إلى المدينة، قيل: بسنَتين، وقيل: بثَلاث سنَوات.

ومن خصائصِها رضي الله عنها: أنَّها آثَرت بيومِها عائشةَ رضي الله عنها إيثارًا لحبِّ النَّبيِّ ﷺ لها، وذلكَ أنَّها كَبِرت عنده ـ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ، وعَزَم على طلاقِها؛ فآثَرت أن تبقَى معه زوجةً له لتَحظى بأن تكونَ زوجةً له ـ صلواتُ الله وسلامُه عليه ـ في الدَّار الآخرة.

«ثُمَّ كَانَ بَعْدَهْ»؛ أي: بعد إمضاء عقدِه على سَوْدة.

«عَقْدُ ابْنَةِ الصِّدِّيقِ فِي شَوَّالِ»؛ أي: عائشة بنتُ أبي بكر الصِّديق ـ رضيَ الله عنها وعن أبيها وعن الصَّحابة أجمعين ـ، وقد تزوَّجَها ﷺ في شوَّال قبل الهجرة؛ قيل: بسنتَيْن، وقيل: بثَلاث سَنوات، وهي بنت ستِّ سِنين، وبنى بها ـ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ بالمدينة أوَّلَ مقْدَمه ـ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ وهي بنتُ تسع سَنوات.

ولها رضي الله عنها خصائص:

منها: أنَّها أحبُّ أزواج النَّبيِّ ﷺ إليه.

ومنها: أنَّه لم يتزوَّج بكرًا غيرها.

ومنها: أنَّ الوحي كان ينزلُ على النَّبيِّ ﷺ وهو معَها في لحافِها رضي الله عنها.

ومنها: أنَّ براءتها منَ الإفك الَّذي رُميت به؛ نَزل به وحيٌ من الله يُتلى في كتابه سبحانه وتعالى.

ومنها: أنَّها أفقَه نسائِه ـ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ؛ بل أفقَه نساء الأمَّة رضي الله عنها.

ومنها: أنَّ النَّبيَّ ﷺ توفِّي في بيتِها بينَ سَحْرها ونَحْرها، رضيَ الله عنها وعن زوجاتِ النَّبيِّ ﷺ أجمعين.

[٣٥] .... وَبَعْـدَ خَمْسِينَ وَعَامٍ تَـالِ

[٣٦] أُسْرِيْ بِهِ وَالصَّلَوَاتُ فُرِضَتْ خَمْسًا بِخَمْسِينَ كَمَا قَدْ حُفِظَتْ

ذكر في هٰذا الشَّطر والبيت الَّذي بعده الإسراءَ والمعراجَ بنبيِّنا صلواتُ الله وسلامُه عليه.

«**وَبَعْدَ خَمْسِينَ وَعَامٍ تَالِ**»؛ أي: بعد واحدٍ وخمسين عامًا.

قال ابنُ الجوزي: «فلمَّا أتت له إحدى وخمسونَ سنةً وتسعةُ أشهُرٍ أُسرِيَ به»[١].

وقولُه: «**أُسْرِيْ بِهِ**»؛ أي: من مكَّة إلى بيتِ المقدس، وفي اللَّيلة نفسِها عُرِج به إلى ما فوقَ السَّماء السَّابعة، وفُرِضَت عليه هناك الصَّلوات الخمس «**خَمْسًا بِخَمْسِينَ**».

(١) «صفوة الصَّفوة» (١/ ٣٥).

«خَمْسًا» أي: بالفِعل، «بِخَمْسِينَ» أي: بالأجر.

«كَمَا قَدْ حُفِظَتْ»؛ أي بذلك السُّنَّة الصَّحيحة عن رسول الله صلواتُ الله وسلامُه عليه[١].

قال الحافظُ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأُسْرِيَ برسُول الله ﷺ بجسدِه على الصَّحيح من قولي الصَّحابة والعلماء، منَ المسجد الحرام إلى بيت المقدس، راكبًا البُراق في صُحبة جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، فنزل ثَمَّ، وأمَّ بالأنبياء ببيتِ المقدس فصلَّى بهم.

ثمَّ عُرج به تلك اللَّيلة من هناك إلى السَّماء الدُّنيا، ثمَّ للَّتي تَليها، ثمَّ الثَّالثة، ثمَّ إلى الَّتي تَليها، ثمَّ الخامسة، ثمَّ الَّتي تَليها، ثمَّ السَّابعة، ورأى الأنبياءَ على منازلهم، ثمَّ عُرج به إلى سِدرة المنتَهى، ورأى عندَها جبريلَ على الصُّورة الَّتي خلقَه اللهُ عليها، وفَرض اللهُ عليه الصَّلواتِ تلك اللَّيلة»[٢].

[٣٧] والبَيْعـةُ الأُولَـى مَـعَ اثْـني عَـشَرَا ... مِـنْ أَهْـلِ طَيْبَـةٍ كَمـا قَـدْ ذُكِـرَا

«**والبَيْعةُ الأُولَى**»؛ أي: بيعَة العَقَبة الأولى، كانت «**مَعَ اثْنَيْ عَشَرَا**» رجلًا «**مِنْ أَهْلِ طَيْبَةٍ**»؛ أي: من أهل المدينة النَّبويَّة.

«**كَمَا قَدْ ذُكِرَا**» في الكُتب المعنيَّة بسِيرة النَّبيِّ ﷺ.

قال ابنُ اسحاق: «فلمَّا أرادَ الله عَزَّ وَجَلَّ إظهارَ دينِه، وإعزازَ نبيِّه ﷺ، وإنجازَ موعدِه له؛ خرجَ رسولُ الله ﷺ في الموسِم الَّذي لقيَه فيه النَّفر من الأنصار، فعَرض نفسَه على

---

(١) قصَّة الإسراء والمعراج بطولها في «الصَّحيحين»: «البخاري»: رقم (٣٣٤٢)، و«مسلم»: رقم (٢٦٣)؛ من حديث أنس عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) «الفصول في سيرة الرَّسول» (ص٦٩).

قبائل العَرب، كما كان يصنَعُ في كلِّ موسم، فبينما هو عند العَقَبة لقيَ رهطًا من الخَزْرج أراد اللهُ بهم خيرًا»، وأنَّهم أجابوا رسولَ الله ﷺ فيما دعاهُم له وآمنُوا به، ثمَّ انصرَفوا راجعينَ إلى قومِهم.

ثمَّ قال: «فلمَّا قَدموا المدينةَ إلى قومِهم ذكروا لهم رسولَ الله ﷺ، ودعَوْهُم إلى الإسلام حتَّى فشا فيهم، فلم تبقَ دارٌ من دُور الأنصار إلَّا وفيها ذكرٌ من رسُول الله ﷺ، حتَّى إن كانَ العام المقبل؛ وافى الموسمَ من الأنصار اثنا عشَر رجلًا فلقوه بالعَقبة ـ وهي العَقَبة الأولى ـ، فبايعوا رسولَ الله ﷺ على بيعة النِّساء، وذلك قبل أن تُفتَرض عليهم الحربُ»[1].

ويعني بقولِه: «على بيعة النِّساء» أي: بايعوه على الَّذي بايع عليه النِّساءَ في سورة الممتحنة[2]، ففي «الصَّحيحين»[3] عن عُبادة بن الصَّامت رضي الله عنه أنَّه قال: «إنِّي منَ النُّقباء الَّذين بايعُوا رسولَ الله ﷺ، وقال: بايعناه على أنْ لا نشركَ بالله شيئًا، ولا نسرقَ، ولا نزنيَ، ولا نقتُلَ النَّفسَ الَّتي حرَّم الله إلَّا بالحقِّ، ولا ننتَهبَ، ولا نعصيَ بالجنَّة إنْ فعلنَا ذلك، فإن غَشِينَا من ذلك شيئًا كانَ قضاءُ ذلكَ إلى الله».

[٣٨] وَبَعْدَ ثِنْتَيْنِ وَخَمْسِينَ أَتَى سبعونَ فِي المَوْسِمِ هَذَا ثَبَتَا

[٣٩] مِنْ طَيْبَةٍ فَبَايَعُوا ثُمَّ هَجَرْ مَكَّةَ يَوْمَ اثْنَيْنِ مِنْ شَهْرِ صَفَرْ

«وَبَعْدَ ثِنْتَيْنِ وَخَمْسِينَ» سنة من مولد النَّبيِّ صلواتُ الله وسلامُه عليه، «أَتَى» إليه

---

(١) انظر: «السِّيرة النَّبويَّة» لابن هشام (٢/ ٤٥٢ ـ ٤٥٤).

(٢) الآية (١٢).

(٣) «صحيح البخاري»: رقم (٣٨٩٣)، و«مسلم»: رقم (١٧٠٩).

«سَبْعُونَ» رجلاً «فِي المَوْسِمِ» أي: في موسم الحجِّ، «هَذَا ثَبَتَا»؛ أي في الأحاديث الصَّحيحة، وكان قُدومُهم «مِنْ طَيْبَةٍ فَبَايَعُوا» النَّبيِّ ـ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ بيعةَ العَقَبة الثَّانية.

«ثُمَّ هَجَرْ»؛ أي النَّبيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

«مَكَّةَ يَوْمَ اثْنَيْنِ مِنْ شَهْرِ صَفَرْ»؛ هـٰذا قولٌ، وقيل: في شهر ربيع الأوَّل.

قال ابنُ كثير في «البداية والنِّهاية»[1]: «وقد كانت هجرتُه ـ عَلَيْهِ الصَّلاة والسَّلَامُ ـ في شَهر ربيع الأوَّل سنة ثلاث عشرة من بعثتِه ـ عَلَيْهِ الصَّلاة والسَّلَامُ ـ وذلك من يوم الاثنين، كما رواه الإمام أحمد[2] عن ابن عبَّاس أنَّه قال: «ولد نبيُّكم يوم الاثنين، وخرج من مكَّة يوم الاثنين، ونُبِّئ يوم الاثنين، ودخَل المدينةَ يوم الاثنين، وتوفِّي يوم الاثنين»».

[٤٠] فَجَـاءَ طَيْبَـةَ الرِّضَـا يَقِينَـا ... إِذْ كمَّـل الـثلاثَ والخَمْـسينَا

[٤١] فِي يَـوْمِ الاِثْنَـيْنِ ودامَ فِيهَـا ... عَـشْرَ سِـنِينَ كُمَّـلاً نَحْكِيهَـا

«فَجَاءَ طَيْبَةَ»؛ أي: المدينة النبوية مُهاجرَه، «الرِّضا» أي النَّبي ﷺ الموصوف بكمال الرضا بالله وعن الله سبحانه وتعالى «يَقِينَا»؛ أي أنَّ هـٰذا أمرٌ ثابتٌ ومتيقَّنٌ.

«إِذْ كَمَّلَ الثَّلاثَ وَالخَمْسِينَا»؛ أي من عُمره، صلواتُ الله وسلامُه عليه.

«فِي يَوْمِ الاِثْنَيْنِ»؛ أي: كان دخولُه المدينةَ في يوم الاثنين، قال الحاكم: «تواترت

---

(١) (٤/ ٤٤٣ ـ ٤٤٤).

(٢) رقم (٢٥٠٦)، ولفظه: «وُلد النَّبيُّ ﷺ يوم الإثنين، واستُنبئ يوم الإثنين، وتوفِّي يوم الإثنين، وخرج مهاجرًا من مكَّة إلى المدينة يوم الإثنين، وقدم المدينة يوم الإثنين، ورفَعَ الحجر الأسود يوم الإثنين»، وفي سنده عبد الله بن لهيعة.

الأخبار أنَّ خروجَه كانَ يومَ الاثنين، ودخولَه المدينةَ كان يوم الاثنين»[١].

«**وَدَامَ فِيهَا عَشْرَ سِنِينَ**»؛ إلى أن توفِّي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

«**كُمَّلًا**»؛ أي: كاملات.

«**نَحْكِيهَا**»؛ بناءً على ما ورد في الرِّوايات.

فعن ابن عبَّاس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: «بُعث رسولُ الله ﷺ لأربعينَ سنة، فمكثَ بمكَّة ثلاث عَشْرة سنةً يُوحَى إليه، ثمَّ أُمِر بالهجرة؛ فهاجر عَشْر سِنين، ومات وهو ابنُ ثلاث وستِّين»[٢].

[٤٢] أَكْمَلَ فِي الأُولَى[٣] صَلاةَ الحَضَرِ مِنْ بَعْدِ مَا جمَّعَ فَاسْمَعْ خَبَرِي

«**أَكْمَلَ فِي الأُولَى**»؛ أي: في السَّنة الأولى من هجرتِه صلواتُ الله وسلامُه عليه.

«**صَلاَةَ الحَضَرِ**»؛ أي: أُكمِلت صلاةُ الحَضَر؛ فصارت الظُّهر أربعًا، والعَصر أربعًا، والعِشاء أربعًا.

ففي «الصَّحيحين»[٤] عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: «فُرضت الصَّلاةُ ركعتَيْن، ثمَّ هاجر النَّبيُّ ﷺ ففُرضَت أربعًا، وتُركت صلاةُ السَّفر على الأُولى»؛ أي: صارت الثُّنائيَّة الَّتي هي

---

(١) نقله عنه ابن حجر في «الفتح» (٧/ ٢٣٦)، والصَّالحي في «سبل الهدى والرَّشاد» (٣/ ٣٦٠).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) من اللَّطائف الجميلة أنَّ النُّسخة التُّركية كتبَ ناسخُها هـٰذه السَّنوات: (الأولى) (الثَّانية)... باللَّون الأحمر تنبيهًا للقارئ حيثُ يجد السَّنوات متَسلسلَةً بالأحداث الَّتي كانت فيها، وهكذا فعلنا في هذه الطبعة عند سرد الأبيات في المقدمة.

(٤) «صحيح البخاري»: رقم (٣٩٣٥)، ومسلم: رقم (٦٨٥).

الظُّهر والعَصر والعِشاء أربع ركعات، وبقيت في السَّفر ركعتَيْن على ما هيَ عليه قبل الهجرة.

«مِنْ بَعْدِ مَا جَمَّعَ»؛ أي أنَّ صلاته ـ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ الجمعةَ إنَّما كانت في المدينة بعد هجرتِه إليها، وقبل أن يُهاجر إليها كانت صلاةُ الجمعة تُقام في المدينة.

«فَاسْمَعْ خَبَرِي»؛ سماعَ فهمٍ وقَبولٍ.

قال ابنُ كثير: «ولَمَّا ارتَحل ـ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ من قُباء، وهُو راكبٌ ناقتَه القَصْوَاء، وذلك يوم الجمعة؛ أدركَه وقتُ الزَّوال وهو في دار بَنِي سالم بن عَوْف، فصلَّى بالمسلمين الجمعة هنالك في وادٍ يقال له «وادي رَانُونَاء»، فكانت أوَّلَ جمعة صلَّاها رسولُ الله ﷺ بالمسلمين بالمدينة أو مطلقًا؛ لأَنَّه ـ والله أعلم ـ لم يكن يتمكَّن هو وأصحابه بمكَّة من الاجتماع حتَّى يقيموا بها جمعةً ذاتَ خطبةٍ وإعلانٍ بموعظةٍ، وما ذاك إلَّا لشدَّة مخالفة المشركين، وأذيَّتهم إيَّاه»[1].

[٤٣] ثُـمَّ بَنَـى المَسجِدَ فِي قُبَـاءِ　　　وَمَسجِدَ المدِينَـةِ الغَـرَّاءِ

«ثُمَّ بَنَى المَسْجِدَ»؛ أي: المسجد المعروف.

«فِي قُبَاءِ»؛ المنطقة المعروفة؛ وهي تقعُ جنوبَ المسجدِ النَّبوي بستَّة كيلوات تقريبًا.

فأوَّلُ ما فَعل ـ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ عند وصولِه لتلكَ المنطقة ـ وقد نَزل في دار بني عَمْرو بن عَوْف ـ بناء هذا المسجد المبارك.

وهـٰذا يدلُّ على أنَّ الواجبَ أن يكونَ المسجدُ هو أول اهتماماتِ المسلم، وإذا سَكَن في منطقةٍ كان في مقدمةِ ما ينبغي أن يُعنى به.

---

(١) «البداية والنِّهاية» (٤/ ٥٢٦).

قال ابنُ كثير في «البداية والنِّهاية»[١]: «ولمَّا حلَّ الرِّكابُ النَّبويُّ بالمدينة، وكان أوَّل نزوله بها في دار بَني عَمْرو بن عَوْف، وهي «قُبَاء» ـ كما تقدَّم ـ، فأقام بها أكثَر ما قيل: ثِنتين وعشْرين ليلة، وقيل: ثماني عشرة ليلة، وقيل: بضع عشرة ليلة، وقال موسَى ابن عُقْبَة: ثلاث ليال، والأشهر ما ذكره ابن إسحاق وغيره أنَّه ـ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ أقام فيهم بقُباء من يوم الاثنين إلى يوم الجمعة.

وقد أسَّس في هـٰذه المدَّة المختَلَفِ في مقدارِها ـ على ما ذكرناه ـ مسجدَ قُباء...، وهو مسجدٌ شريفٌ فاضلٌ، نَزل فيه قولُ الله تعالى: ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [سُورَةُ التَّوْبَةِ] كما تكلَّمنا في تقرير ذلك في «التَّفسير»[٢]، وذكرنا الحديث الَّذي في «صحيح مسلم»[٣] أنَّه مسجد المدينة والجواب عنه...».

«وَمَسْجِدَ المَدِينَةِ الغَرَّاءِ»؛ أي: وبنى ـ صلواتُ الله وسلامُه عليه ـ مسجدَ المدينة، وكان ﷺ اشتَرى مكانَه، وكان مربدًا للتَّمر لسُهَيْل وسَهْل، غُلامين يتيمَيْن في حِجر أَسْعَد بن زُرَارَة رضي الله عنه، وكانتْ بركت ناقتُه ﷺ هناك، فبنى المسجد في ذلك المكان، وكان ﷺ كما جاء في «صحيح البخاري»[٤] ينقل معهُم اللَّبِنَ ويشاركُهم في بُنيانه، وكانوا يقولون:

---

(١) (٤/٥١٦).

(٢) (٤/٢١٢ـ٢١٦).

(٣) رقم (١٣٩٨).

(٤) رقم (٣٩٣٢).

اللَّهُـمَّ إنَّ الأجـرَ أجـرُ الآخِـرهْ   فـارْحَم الأنـصارَ والمُهـاجِرهْ

[٤٤] ثـمَّ بَنَـى مِـنْ حَوْلِـه مَـسَاكِنَهْ   ثُـمَّ أَتَـى مِـنْ بعـدُ فِي هَـذِيْ[1] الـسَّنَهْ
[٤٥] أقـلُّ مِـنْ نِـصفِ الَّـذِينَ سَـافَرُوا   إلى بـلادِ الحُـبْشِ حِـينَ هَـاجَرُوا

«**ثُمَّ بَنَى**» النَّبيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ «**مِنْ حَوْلِهِ**» أي المسجد النَّبوي.

«**مَسَاكِنَهْ**»؛ أي: مسكنًا لسَوْدة، ثمَّ مسكناً آخَر لعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا استعدادًا للبناء بها، ثمَّ بعد ذلكَ كلَّما جدَّت الحاجَة لمسكنٍ بناهُ ملاصقًا لمسجدِه صلواتُ الله وسلامُه عليه.

قال الذَّهبي: «لم يبلغْنا أنَّه ﷺ بنى له تسعةَ أبياتٍ حينَ بنى المسجدَ، ولا أحسبُه فعَل ذلك، إنَّما كان يريدُ بيتًا واحدًا لسودَةَ أمِّ المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، ثمَّ لم يحتَجْ لبيتٍ آخر حتَّى بنى لعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في شوَّال سنة اثنتَيْن، فكأنَّه ﷺ بناها في أوقاتٍ مختلفةٍ»[2].

وهي مساكنُ متواضعَةٌ، جاء في «الأدب المفرد» للبخاري[3] عن داود بن قيس قال: «رأيتُ الحُجُرات من جَريد النَّخل مغشَّاة من خارج بمُسُوح الشَّعْر، وأظنُّ عَرض البيت من باب الحجرة إلى باب البيت نحوًا من ستٍّ أو سبع أذْرُع، وأحزِرُ البيتَ الدَّاخلَ عشرَ أذرُعٍ، وأظنُّ سُمْكَه بين الثَّمان والسَّبع نحو ذلك»، أي: الارتفاع.

«**ثُمَّ أَتَى مِنْ بَعْدُ فِي هَذِي السَّنَه**»؛ من المهاجرين.

---

(١) في «د»: «في هذه».

(٢) قاله في «بلبل الرَّوض» (وهو اختصار للرَّوض الأنف) كما في «سبل الهدى والرَّشاد» (٣/ ٥٠٦)، (١٣/ ٥٦).

(٣) رقم (٤٥١)، وصحَّح إسناده الشَّيخ الألباني في «صحيح الأدب المفرد» (ح٣٥٢).

«أَقَلُّ مِنْ نِصْفِ الَّذِينَ سَافَرُوا»؛ أي أقلُّ من نصف الَّذين هاجروا الهجرةَ الثَّانية إلى بلاد الحبشة، حيثُ كان عددهم نيِّفًا وثمانين رجلًا، وثماني عشرة امرأة.

قال الصَّالحي في «سُبل الهدى»[(١)]: «فأقام المهاجرون بأرض الحبشة عند النَّجاشي في أحسن جوار، وتعجَّل عبدُ الله بن مسعود فرجع إلى مكَّة، فلمَّا سمع المسلمون بمهاجرة النَّبيِّ ﷺ إلى المدينة؛ رجع منهم ثلاثةٌ وثلاثونَ رجلًا، ومنَ النِّساء ثماني نسوة».

فإذا كان الَّذين رجعوا ثلاثةٌ وثلاثون رجلًا، ومنَ النِّساء ثماني نسوة؛ فهـٰذا أقلُّ من النِّصف في الرِّجال والنِّساء.

[٤٦] وفيــهِ آخَــى أَشْــرَفُ الأَخْيــارِ بَــيْنَ المهــاجِرينَ والأَنْــصَارِ

«وَفِيهِ»؛ أي: في هـٰذا العام؛ العام الأوَّل من الهجرة.

«آخَى أَشْرَفُ الأَخْيَارِ»؛ صلواتُ الله وسلامُه عليه.

«بَيْنَ المُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ»؛ على المواساة؛ ليذهبَ عنهم وحشةُ الغُربة، ومفارَقَةُ الأهل والعَشيرة، ويشدَّ بعضُهم مِن أزْرَ بعضٍ.

قال ابنُ القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه «زاد المعاد»[(٢)]: «ثمَّ آخى رسولُ الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار في دار أنس بن مالك، وكانوا تسعين رجلًا، نصفُهم من المهاجرين، ونصفُهم من الأنصار، آخى بينهم على المواساة، يتوارثون بعد الموتِ دونَ ذوي الأرحام

(١) (٢/ ٥٢٤).
(٢) (٣/ ٦٣).

إلى حين وقْعَة بَدر، فلمَّا أنزل الله: ﴿وَأُوْلُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٦] ردَّ التَّوارثَ إلى الرَّحم دونَ عَقْد الأخوَّة».

وفي هـٰذه المؤاخاة ضرَب الأنصار رضي الله عنهم أروَعَ الأمثلة في الإيثار، وقد نوَّه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بكرمِهم وحسنِ إيثارِهم في آيةٍ تُتلى في كتابه، قال ـ سُبْحَانَهُ وَتعَالَى ـ: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٩﴾ [سورة الحشر]، حتَّى كان الواحد من الأنصار يتنازلُ لأخيه من المهاجرين عن نصفِ ماله.

وممَّا جاء في هـٰذا الباب ما رواه البخاري[1] عن أنس رضي الله عنه قال: قَدم عبدُ الرَّحمـٰن ابن عوف المدينةَ، فآخى النَّبيُّ ﷺ بينَه وبينَ سَعْد بن الرَّبيع الأنصَاري، فعرض عليه أن يناصفَه أهلَه ومالَه، فقال عبد الرَّحمـٰن: باركَ الله لك في أهلك ومالك، دُلَّني على السُّوق، فربح شيئًا من أقِطٍ وسَمْنٍ، فرآه النَّبيُّ ﷺ بعد أيَّام وعليه وضَرٌ من صُفْرَة، فقال له النَّبيُّ ﷺ: «**مَهْيَم يَا عَبْدَ الرَّحمـٰن؟**»، قال: يا رسولَ الله! تزوَّجتُ امرأةً من الأنصار، قال: «**فَمَا سُقْتَ فِيهَا؟**» فقال: وزنُ نَواة من ذَهَبٍ، فقال النَّبيُّ ﷺ: «**أَوْلِمْ وَلَوْ بِشَاةٍ**».

---

(١) في «صحيحه»: رقم (٣٩٣٧)، و(٥٠٧٢).

[٤٧] ثـمَّ بَنَـى بابنَـةِ[١] خَيْـرِ صَـحْبِهِ وَشَـرَعَ الأَذَانَ فَاقْتَـدِي[٢] بِـهِ

«ثُمَّ بَنَى» النَّبيُّ صلواتُ الله وسلامُه عليه في السنة الأولى من الهجرة في اختيار الناظم وجماعة من أهل العلم وقيل في السنة الثانية[٣].

«بِابْنَةِ خَيْرِ صَحْبِهِ»؛ أي بعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

«خَيْرِ صَحْبِهِ»؛ أبي بكر الصِّدِّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وكان عُمرها إذ ذاك تسع سنين، جاء في «الصَّحيحين»[٤] عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «تزوَّجني النَّبيُّ ﷺ وأنا بنتُ ستِّ سنين، فقَدمنا المدينةَ فنزلنا في بني الحارث بن خَزْرَج، فوُعِكتُ فتمرَّق شَعري فَوَفى جُمَيْمَة، فأَتَتْني أمِّي أمُّ رومان، وإنِّي لفي أُرْجُوحة ومعي صَواحِب لي، فصَرخَت بي، فأتيتُها لا أدري ما تُريد بي، فأخذَت بيَدي حتَّى أوقفَتْني على بابِ الدَّار، وإنِّي لأُنْهِج حتَّى سَكَن بعضُ نَفَسي، ثمَّ أخذَتْ شيئًا من ماء فمسَحَتْ به وجهي ورأسي، ثمَّ أدخَلتْنِي الدَّارَ، فإذا نسوةٌ من الأنصار في البيت، فقُلن: على الخَير والبَركة، وعلى خَير طائر، فأسلمَتْني إليهنَّ فأصْلَحْن من شَأني، فلم يَرُعْني إلَّا رسولُ الله ﷺ ضُحًى، فأسلمتْني إليه وأنا يومئذ بنتُ تسعِ سِنينَ».

«وَشَرَعَ الأَذَانَ» للصَّلاة، وكان قبل أن يُشرع الأذانُ للصَّلاة يتحيَّن النَّاس وقتَ

---

(١) في «ت»: «بابنته».

(٢) زيادة الياء لضرورة الشِّعر، وهي موجودة في جميع النسخ.

(٣) انظر فتح الباري لابن حجر (٧/ ٢٢٤).

(٤) «صحيح البخاري»: رقم (٣٨٩٤)، و«صحيح مسلم»: رقم (١٤٢٢).

الصَّلاة، فإذا شعروا أنَّ الوقتَ قَرُب أتوا إلى المسجِدِ، جاء في «الصَّحيحين»[١] عن ابن عُمَر رضي الله عنهما قال: «كان المسلمونَ حينَ قَدموا المدينةَ يجتَمعون فيتَحيَّنون الصَّلاةَ ليس يُنادى لها، فتكلَّموا يومًا في ذلك، فقال بعضُهم: اتَّخِذوا ناقوسًا مثلَ ناقوسِ النَّصارى، وقال بعضُهم: بل بُوقًا مثل قَرْنِ اليَهود، فقال عُمَر: أَوَلَا تبعثُون رجلًا ينادي بالصَّلاة، فقال رسولُ الله ﷺ: «**يَا بِلَالُ! قُمْ فَنَادِ بِالصَّلَاةِ**»».

وليس المراد بالمناداة للصَّلاة الأذان المعروف، وإنَّما المرادُ النِّداء بالصَّلاة، مثل أن يُقال: الصَّلاةُ جامعَة؛ فيجتَمعون، جاء في «الطَّبقات» لابن سعد[٢] عن عروة بن الزبير، وزيد بن أسلم، وسعيد بن المسيِّب قالوا: «كان النَّاس في عهد النَّبيِّ ﷺ قبل أن يُؤمر بالأذان يُنادي مُنَادي النَّبيِّ ﷺ: الصَّلاةُ جامعةٌ، فيجتَمع النَّاس».

ثمَّ بعد ذلك رأى عبدُ الله بن زَيْد رضي الله عنه رؤيَا؛ فقصَّها على النَّبيِّ ﷺ، وفي الرُّؤيا سَمِع ألفاظَ الأذان: الله أكبر، الله أكبر.. إلى آخر هـٰذه الألفاظ، فقال النَّبيُّ ـ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ: «**إِنَّهَا لَرُؤْيَا حَقٌّ إِنْ شَاءَ اللهُ، فَقُمْ مَعَ بِلَالٍ فَأَلْقِهَا عَلَيْهِ، فَلْيُؤَذِّنْ بِهَا؛ فَإِنَّهُ أَنْدَى صَوْتًا مِنْكَ**»[٣]، فحينئذٍ شُرِع الأذانُ المعروف.

«**فَاقْتَدِي بِهِ**»؛ فهو إمامُ المتَّقين، وقدوةُ المؤمنين، والمشروعُ في حقِّ المسلم كذلك أن يقتديَ بالمؤذِّن، ويردِّد معه إلَّا عند قولِه: «حيَّ على الصَّلاة، حيَّ على الفَلاح»، يقول:

---

(١) «صحيح البخاري»: رقم (٦٠٤)، و«مسلم»: رقم (٣٧٧).

(٢) (١/ ٢٤٦).

(٣) أخرجه أبو داود: رقم (٤٩٩)، والتِّرمذي: رقم (١٨٩)، وابن ماجه: رقم (٧٠٦)، وحسَّنه الألباني.

«لا حول ولا قُوَّة إلَّا بالله»، كما جاء ذلكَ عن رسولِ الله صلواتُ الله وسلامُه عليه(١).

[٤٨] وَغَــزْوَةُ الأَبْــوَاءِ بَعْــدُ فِي صَــفَرْ ... هَــذَا وفِي الثَّانيــةِ الغَــزْوُ اشْــتَهَرْ
[٤٩] إلى بُــوَاطٍ ثُــمَّ بَــدْرٍ ووَجَــبْ ... تَحَــوُّلُ القِبْلَــةِ فِي نِــصْفِ رَجَــبْ
[٥٠] مِنْ بَعْدِ ذِي العُشَيْرِ(٢) يَا إِخْوَانِي ... وَفَــرْضُ شَــهْرِ الــصَّوْمِ فِي شَــعْبَانِ

بدأ هنا الحديثُ عن مغازي النَّبيِّ الكريم ـ صلواتُ الله وسلامُه عليه ـ، وبينَ يدي الحديثِ عنها يجدر التَّنبيه على أهميَّة معرفة مغازيه ﷺ، وعظم فائدتِها.

روى الخطيبُ البغدادي في كتابه «الجامع لأخلاق الرَّاوي»(٣) عن إسماعيل ابن محمَّد بن سَعد بن أبي وقَّاص الزُّهري المدني قال: «كانَ أبي يعلِّمُنا مغازيَ رسُولِ الله ﷺ ويعدُّها علينا، وسَرَاياه، ويقولُ: يا بنيَّ! هٰذه مآثِرُ آبائكُم فلا تضيِّعوا ذِكْرَها».

وروى(٤) عن زَيْنِ العَابدين عليِّ بن الحُسَين بن عليٍّ قال: «كنَّا نُعلَّم مغازيَ النَّبيِّ ﷺ، وسَرَاياه كما نُعَلِّم السُّورةَ منَ القرآن».

وغزواتُ النَّبيِّ ﷺ عديدةٌ، منها غزواتٌ شارك فيها ـ صلواتُ الله وسلامُه عليه ـ بنفسِه، ومنها بعوثٌ وسَرايا لم يشارك فيها.

روى الشَّيخان عن أبي إسحاق السَّبيعي قال: «قلتُ لزَيْد بن أَرْقَم رضي الله عنه: كم غزَا رسولُ الله ﷺ؟ قال: تسْعَ عَشرَة، قلتُ: كَمْ غزوتَ أنتَ معه؟ قال: سَبْع عَشرة

(١) «صحيح البخاري»: رقم (٦١٣).
(٢) في «د»: «ذا العشير».
(٣) رقم (١٥٩٠).
(٤) رقم (١٥٩١).

غزوة»[١].

قال الحافظُ ابنُ حجر في شرحِه لهذا الحديث: «قوله: «تسْعَ عشرة»، مراده الغزوات الَّتي خرج النَّبيُّ ﷺ فيها بنفسه سواءً قاتل أو لم يُقاتل؛ لـٰكن روى أبو يعلى من طريق أبي الزُّبير عن جابر رضي الله عنه أنَّ عدد الغزوات إحدى وعِشرون، وإسنادُه صحيح، وأصلُه في «مسلم»، فعلى هـٰذا ففات زَيد بن أرقم ذكر ثِنتين منها،... أو عدَّ الغَزوتين واحدةً،... وقد توسَّع ابنُ سعد فبلغ عدَّة المغازي الَّتي خرج فيها رسول الله ﷺ بنفسه سبعًا وعشرين، وتبع في ذلك الواقدي، وهو مطابقٌ لما عدَّه ابنُ إسحاق إلَّا أنَّه لم يفرد وادي القرى من خَيبر...، وأمَّا البعوث والسَّرايا فعدَّ ابنُ إسحاق ستًّا وثلاثين، وعدَّ الواقدي ثمانيًا وأربعين، وحكى ابنُ الجوزي في «التَّلقيح» ستًّا وخمسين، وعدَّ المسعودي ستِّين، وبلغها شيخُنا في «نظم السِّيرة» زيادةً على السَّبعين، ووقع عند الحاكم في «الإكليل» أنَّها تزيد على مائة، فلعلَّه أراد ضمَّ المغازي إليها»[٢].

«**وَغَزْوَةُ الأَبْوَاءِ بَعْدُ فِي صَفَرْ**»؛ أي: كانت هـٰذه الغزوة في شهر صَفر من السَّنة الثَّانية من الهجرة، وتسمَّى ـ أيضًا ـ بغَزوة «ودَّان»، وهُما موقعان متَجاوران، والأبْوَاء تبعُد عن المدينة نحو أربعةٍ وعشرين مِيلًا، ولم يقَع قتالٌ في هـٰذه الغَزوة؛ بل تمَّت مُوَادَعة بني ضَمْرة بن عبد مَناة بن كِنانة مع سيِّدهم مجدي بن عَمْرو.

«**هَذَا وَفِي**» السَّنة «**الثَّانِيَةِ**» منَ الهجرة «**الغَزْوُ اشْتَهَرْ**»؛ لأنَّ المسلمين صار لهم شوكةٌ

---

(١) «صحيح البخاري»: رقم (٣٩٤٩)، و«مسلم»: رقم (١٢٥٤)، وجاء في آخره: «قلت: فأيُّهم كانت أوَّل؟ قال: العسيرة أو العشير».

(٢) «فتح الباري» (٧/ ٢٨٠ ـ ٢٨١).

وعضُدٌ؛ فكُتب عليهم القتالُ، وكان بَدْء ذلك واشتهارُه في السَّنة الثَّانية من هجرةِ النَّبيِّ ﷺ إلى المدينَة.

«إِلَى بُوَاطٍ»؛ أي: ثمَّ غزَا رسولُ الله ﷺ في شهر ربيع الآخر إلى «بُوَاط»، يريد أن يعتَرض قافلةً من قوافل التِّجارة لقُريش حتَّى بلغ «بُوَاطاً»، من ناحية «رَضْوَى»[1]، ثمَّ رجَع إلى المدينة ولم يلق كيدًا، فلبثَ بها بقيَّة شهر ربيع الآخر وبعضَ جمادى الأولى.

«ثُمَّ بَدْرٍ»؛ أي: ثُمَّ إلى غزوة بَدر الأولى، وكانت في شهر جُمادى الآخرة، وتُسمَّى ـ أيضًا ـ غزوة سَفَوان، وذلك أنَّ كُرْز بن جَابر الفِهْري أغار على سَرْح المدينة فخَرج رسولُ الله ﷺ في طَلَبه حتَّى بلغ واديًا يُقال له: «سَفَوان»[2] في ناحية «بَدر»، وأفلتَ كُرْز ابن جابر فلم يتمكَّن النَّبيُّ ﷺ من إدراكِه، فرجعَ إلى المدينة.

«وَوَجَبْ تَحَوُّلُ القِبْلَةِ فِي نِصْفِ رَجَبْ»؛ لم يختَلف أهلُ العلم أنَّ تحويل القِبلة من بيتِ المقدس إلى الكعبة المشرَّفة كان في السَّنة الثَّانية للهجرة، قبل وقعة بَدر الكبرى؛ ولـٰكن اختلفوا في الشَّهر؛ فقيل: في شعبان، وقيل: في جمادى الآخرة، وقيل: في رجب، كما قال النَّاظم رَحِمَهُ اللَّهُ، وهو قولُ الجمهور، قال الحافظ ابنُ حجر في «الفتح»[3]: «كان التَّحويل في نصف شهر رجب من السَّنة الثَّانية على الصَّحيح، وبه جزم الجمهور، ورواه الحاكم بسنَدٍ صحيحٍ عن ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا».

---

(١) قال الحافظ في المرجع السَّابق: «بفتح الرَّاء وسكون المُعجمة: جبل مشهور عظيم بينبع».

(٢) قال الحافظ في المرجع نفسه: «بفتح المهملة والفاء».

(٣) «الفتح» (١/ ١٢٢)، وانظر: «البداية والنِّهاية» (٥/ ٤٥).

«**مِنْ بَعْدِ ذِي العُشَيْرِ يَا إِخْوَانِي**»؛ أي أنَّ بدرًا الأولى كانت من بعد غَزوة ذي العُشَيْر، ويقال لها أيضًا: «العُشَيْرة» و«العُشَيْراء»، وكانت بعدها بعَشرة أيَّام[1]، خرج فيها النَّبيُّ ﷺ بنفسِه في أثناء جمادى الأولى حتَّى بلغَها، وهي مكانٌ ببطن «ينبع»، وأقام هناك بقيَّة الشَّهر وليالي من جمادى الآخرة، وصالح بني مُدْلِج، ثمَّ رجع إلى المدينة ولم يلقَ كيدًا.

«**وَفَرْضُ شَهْرِ الصَّوْمِ فِي شَعْبَانِ**»؛ من السَّنة الثَّانية للهجرة، بعدما صُرفت القِبلةُ إلى الكعبة بشَهر، وكان ذلك في شَهر شعبان[2].

[٥١] وَالْغَــزْوَةُ الكُبْـرَى الَتِـي بِبَـدْرِ ... فِي الـصَّوْمِ فِي سَـابِعِ عَـشْرِ الـشَّهْرِ

«**وَالغَزْوَة الكُبْرَى الَّتِي بِبَدْرِ**»؛ وهي أولى الغَزوات الكبار، وقد دارَت رحاها بين المسلمين وكفَّار قريش، وكانَ النَّبيُّ ﷺ خرج في الأصل لملاقاة عِيرٍ لقُريش قادمة بتجارةٍ من الشَّام صُحبةَ أبي سفيان، فاستصرخ أبو سفيان قريشًا في مكَّة، وأرسَل لهم الصَّريخ؛ فتجهَّزوا وخرجوا لملاقاة النَّبيِّ ﷺ، وفرَّت العِير، وتلاقى النَّبيُّ ـ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ والمشركون في الموقعة المعروفة بـ«بَدر»، وحصل القتالُ والْتَحم الصَّفَّان، ومَنَّ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ على المؤمنين بالنَّصر المبين، وانهزم الكفَّار شرَّ هزيمةٍ، وأعطوا أكتافَهم للمؤمنين فارِّين، يأسِر المسلمون منهم فريقًا ويقتلون فريقًا، فأسَروا منهم سَبعين، وقتلوا منهم سَبعين، وقُتل كثيرٌ من أعيانهم وكبرائهم وأشرافِهم في هٰذه

---

(١) انظر «الفصول» لابن كثير (ص٨٨).

(٢) انظر «البداية والنَّهاية» (٥/ ٥٢).

المعركة، وكانَ ـ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ في ليلة القتال عيَّن مصارعَ كُبَراء هـٰؤلاء، فكان يشير إلى أمكنةٍ معيَّنةٍ كما ثبتَ في «الصَّحيح»[١] يقول: هَـٰذَا مَصْرَعُ فُلَانٍ، وهـٰذا مصرعُ فلانٍ، فما أخطأَ أحدٌ منهم الموضِعَ الَّذي عيَّنه النَّبيُّ الكريم صلواتُ الله وسلامُه عليه.

وغَنم المسلمون في هـٰذه المعركة غنائمَ عظيمةً، وكان ذلك اليوم يوم فُرقان، كما سمَّاه الله ـ تبَارَكَ وَتَعَالَى ـ في القُرآن؛ لأنَّ الله فرَّق فيه بين الحقِّ والباطل، وأعزَّ فيه المسلمين، وأذلَّ الكافرين، وأصبحت للإسلام هيبةٌ وشوكةٌ ورهبةٌ في قلوب الأعداء والخصوم.

«**فِي الصَّوْمِ فِي سَابِعِ عَشْرِ الشَّهْرِ**»؛ أي: في اليوم السَّابع عشر من شهر الصَّوم شهر رمضان المبارك من السَّنة الثَّانية للهجرة.

[٥٢] **ووَجَبَتْ فِيهِ زَكَاةُ الفِطْرِ مِنْ بَعْدِ بَدْرٍ بِلَيَالٍ عَشْرِ**
[٥٣] **وفي زكاةِ المالِ خُلْفٌ فَادْرِ ....**

«**وَوَجَبَتْ فِيهِ**»؛ أي: شهر الصَّوم.

«**زَكَاةُ الفِطْرِ**»؛ أي الفِطر من شهر رمضانَ المبارك؛ صاعًا من طعام عن الصَّغير والكبير والذَّكر والأنثى والحرِّ والعَبد، وتُسمَّى هـٰذه الزَّكاة: «زكاة الفِطر»؛ لأنَّها تتعلَّق بالفِطر من صيام شهر رمضانَ المبارك.

«**مِنْ بَعْدِ بَدْرٍ بِلَيَالٍ عَشْر**»؛ أي: أنَّ زكاة الفِطر وجبَت في آخِر شهر رمضان، بعد غزوة بَدر بعشر ليال، ووَقْعة بَدر كانت في السَّابع عشر منه فبعدها بليال عشر، أي: قبل ختم الشَّهر بيومين أو ثلاثة فُرضت هذه الزَّكاة.

(١) «صحيح مسلم»: رقم (١٧٧٩).

قال ابنُ جرير الطَّبري رَحِمَهُ اللَّهُ: «وفيها ـ أي في السَّنة الثَّانية ـ أُمر النَّاس بزكاة الفطر، وقد قيل: إنَّ النَّبيَّ ﷺ خطبَ النَّاسَ قبل يوم الفِطر بيوم أو يومين وأمَرَهُم بذلك»[1].

«وَفِي زَكَاةِ المَالِ»؛ المفروضة ذات النُّصب.

«خُلْفٌ»؛ أي: خلافٌ بينَ أهل العلم متى فُرضت، وقد قال جماعةٌ من أهل العلم: إنَّها كانت في السَّنة الثَّانية من هجرة النَّبيِّ ﷺ.

قال الإمام ابنُ كثير في كتابه «البداية والنِّهاية»: «وفي هـٰذه السَّنة فيما ذكره غير واحد من المتأخِّرين فُرضت الزَّكاةُ ذات النُّصُب»[2].

«فَادْرِ»؛ أي فاعلمْ ذلك.

[٥٣]	وماتَــتِ ابْنَـــةُ الـــنَّبيِّ البَـــرِّ
[٥٤] رُقَيَّـــةٌ قبـــلَ رُجـــوعِ الـــسَّفْرِ	زوجـــةُ عثمـــانَ وعُـــرْسُ الطُّهْـــرِ
[٥٥] فاطمـــةٍ عَلَـــى علـــيٍّ القَـــدْرِ	وأَسْـــلَمَ العَبَّـــاسُ بَعْـــدَ الأَسْـــرِ

«وَمَاتَتِ ابْنَةُ النَّبِيِّ البَرِّ»؛ صلواتُ الله وسلامُه عليه «رُقَيَّةٌ» رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

«قَبْلَ رُجُوعِ السَّفْرِ»؛ أي: قبل رجوع الجيش الَّذين سافروا للقتال إلى المدينة.

والنَّبيُّ ﷺ لَمَّا انتهت المعركة أقام بالعَرْصَة[3] ثلاثةَ أيَّام، وكان مِن عادته ـ عَلَيْهِ

---

(١) «تاريخ الأمم والملوك» (٢/ ١٨).

(٢) «البداية والنِّهاية» (٥/ ٥٤).

(٣) قال الحافظ في «الفتح» (٦/ ١٨١): «العَرْصَة ـ بفتح المهملتين وسكون الرَّاء بينهما ـ: وهي البقعة الواسعة بغير بناء من دار وغيرها».

الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ كما ثبت في «الصَّحيحين»[١] إذا ظهر على قوم أقامَ بساحَتِهم ثلاثًا، ثمَّ رجع، فلمَّا أقام بساحتِهم ثمَّ سار ومعه الأُسارى والغنائم قافلًا من معركة بَدر إلى المدينة بعث ـ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ بين يَديه إلى المدينة بَشيرَيْن يبشِّران بالفَتح والنَّصر، وهما عبد الله بن رَوَاحَة إلى أعالي المدينة، وزَيد بن حَارثة إلى السَّافلة...، قال أسامة بن زَيد: «فأتانا الخبر حين سوَّينا التُّراب على رقيَّة بنتِ رسولِ الله ﷺ» بالفَتح والنَّصر والظَّفر على مَن أشركَ بالله وجَحده، وبه كَفر.

«**زَوْجَةُ عُثْمانَ**»؛ ابن عفَّان رضي الله عنه، وكانَ قد احتَبس عندها بالمدينة بأمْرِ النَّبيِّ ﷺ يمرِّضُها؛ لأنَّ النَّبيَّ ﷺ ذهبَ إلى المعركةِ وهي مريضةٌ، ولهذا قَسَم له النَّبيُّ ـ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ في غنائم بَدر[٢].

«و» تمَّ ـ أيضًا ـ بعد معركة بدر «**عُرْسُ الطُّهْرِ**»؛ أي: المرأة العفيفة الطَّاهرة «**فَاطِمَةٍ**[٣]»؛ رضي الله عنها بنت النَّبيِّ ﷺ.

«**عَلَى عَلِيِّ القَدْرِ**»؛ أي على رفيعِ المكانة، وعلِيِّ المنزلةِ عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه ابن عمِّ النَّبيِّ ﷺ.

ويشهَدُ لكَون زواج عليٍّ بفاطمة كان بعد غزوة بَدر ما جاء في «الصَّحيحين»[٤] أنَّ عليًّا قال: كانت لي شارفٌ ـ أي ناقةٌ ـ منْ نصِيبي منَ المَغنم يومَ بَدر، وكانَ النَّبيُّ ﷺ أعطاني شارفًا من الخُمُس، فلمَّا أردتُ أن أبتَني بفَاطمة بنتِ رسُول الله ﷺ واعدْتُ

---

(١) «صحيح البخاري»: رقم (٣٠٦٥)، و«مسلم»: رقم (٢٨٧٥).

(٢) انظر «البداية والنِّهاية» (٥/ ٣١١).

(٣) «فَاطِمَةٍ» بدل من الطّهر، مجروراً بالكسر والتنوين عوضاً عن الفتحة للضرورة.

(٤) «صحيح البخاري»: رقم (٢٠٨٩)، و«مسلم»: رقم (١٩٧٩).

رجلًا صوَّاغًا من بني قَيْنُقَاع أن يرتحل معي فنأتي بإذْخِر أردتُ أن أَبيعَه منَ الصَّوَّاغين، وأستعينَ به في وليمةِ عُرْسي... إلى آخر الخبر.

«**وَأَسْلَمَ العَبَّاسُ**»؛ عمُّ النَّبيِّ ﷺ.

«**بَعْدَ الأَسْرِ**»؛ حيث كانَ من جملة الأسرى الَّذين أُسِروا في هـٰذه المعركة.

واختُلِف في وقتِ إسلامِه؛ فقيل: إنَّه أسلَم بعد الأسر، وبه جَزم النَّاظم رَحِمَهُ اللَّهُ، وقيل: إنَّه أسلَم قبل ذلك، وجاء مع جيش المشركين في هـٰذه الغزوة مكرهًا، وكان يُخفي إسلامَه، ويشهَد لذلك ما رواه الإمام أحمد(١) وغيرُه أنَّه قال: «إنِّي كنتُ مسلمًا قبل ذلك وإنَّما استكْرَهوني».

[٥٦] وَقَيْنُقَاعُ غَزْوُهُمْ فِي الإِثْرِ وَبَعْدُ ضَحَّى يومَ عيدِ النَّحْرِ

«**وَقَيْنُقَاعُ غَزْوُهُمْ فِي الإِثْرِ**»؛ بنو قَيْنُقاع، وهُم قبيلةٌ من قبائل اليَهود الثَّلاثة الَّتي كانت في المدينة، حين هاجر النَّبيُّ ـ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ إليها، وقد وادَعهم ـ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ وتمَّت بينه وبينَهم معاهدةٌ، وكُتب بذلك كتابٌ، وكان بنو قينقاع أوَّل قبائل اليهود نقضًا للعهد، فغزاهم ـ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ في إثر غزوة بَدر، في منتَصف شهر شوَّال، فحاصَرهم ـ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ خمس عشرة ليلة، من منتصف شهر شوَّال إلى غُرَّة هلال ذي القعدة، وألقى الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ في قلوبهم الرُّعبَ، ونزلوا على حكم النَّبيِّ ـ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ، فأمَر بهم فكتِّفوا، وكان أراد ـ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ أن يقتل مُقاتِلتَهم؛ لـٰكن شَفَع فيهم عبدُ الله بن أبيٍّ الَّذي كان

---

(١) رقم (٣٣١٠).

أظهَر إسلامَه وألحَّ على النَّبيِّ ـ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ؛ فأمَر النَّبيُّ ـ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ أن يُجْلَوا ويُخْرَجوا من المدينة[١].

«وبَعْدُ ضَحَّى يَوْمِ عِيدِ النَّحْرِ»؛ أي: وبعد ذلك ضحَّى في شهر ذي الحجَّة في يوم عيد الأضحى المبارك من السَّنة الثَّانية للهجرة، قال ابنُ الأثير: «وفيها ضحَّى رسولُ الله ﷺ بالمدينة، وخرج بالنَّاس إلى المصلَّى، وذبحَ بيده شاتَيْن، وقيل: شاة»[٢]، وكان ذلك بدء هذه الشَّعيرة.

[٥٧] وغَـــزْوةُ الـــسَّوِيقِ ثُـــمَّ قَرْقَـــرَهْ وَالغـــزوُ فِي الثَّالثـــةِ المـــشْتَهِرَهْ

«وَغَزْوَةُ السَّوِيقِ»؛ وهي أنَّ أبا سفيان لَمَّا رجع مع كفَّار قريش بالهزيمة الَّتي مُنُوا بها في غزوة بَدر؛ نَذر أنْ لا يغسلَ رأسَه بالماء حتَّى ينتقِمَ، فتجهَّز مع مائتي فارس وجاؤوا إلى المدينة من جهة «نَجد»، حتَّى أتوْا المدينة من النَّاحية الشَّرقيَّة للمدينة، فأتوا منطقةً فيها اليَهود، يُقال لها: «العُريض»، وادٍ معروفٌ بهـٰذا الاسم إلى الآن في شَرق المدينة، فنزل عند سلَّام بن مِشْكَم من اليَهود، فسقاه وأطعمَه، وبطن له من خَبر النَّاس، فلمَّا أصبح حرَّق في أصوارٍ من نَخل في المدينة وقطعَها إفسادًا وتخريبًا من باب الانتقام، وقتلَ رجلًا من الأنصار وحليفًا له، ثمَّ فرَّ هاربًا، فنَذِر بهم النَّاسُ وتعالموا بخَبرهم؛ فخرج الرَّسولُ ﷺ في طلبه، واستَخلف على المدينة أبا لُبابة، فبلغ ـ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ قَرْقَرَة الكُدر، ثمَّ انصرف راجعًا وقد فاتَه أبو سُفيان؛ وكان أبو سُفيان ومَن

---

(١) انظر: «السِّيرة النَّبويَّة» لابن هشام (١/ ٨٠٨ ـ ٨١١).

(٢) «أسد الغابة» (١/ ٢٩).

معه وهُم في الطَّريق فارِّين يلقُون أزودتَهم الَّتي فيها السَّويق، وهو القَمح المطحون المحمَّص؛ ليتخفَّفوا وليتمكَّنوا من الفِرار من النَّبيِّ وصَحبه الَّذين خرجوا في طلبهم، فوجد أصحابُ رسولِ الله ﷺ أزوادًا كثيرةً ألقاها المشركون يتخفَّفون منها وعامَّتها سَويق؛ فسمِّيت «غزوةَ السَّويق»(١).

«**ثُمَّ قَرْقَرَهْ**»؛ أي: غزوة قَرْقَرة الكُدْر، ويظهر أنَّ عطف النَّاظم «غزوة قَرقَرة» على «غزوة السَّويق» للتَّغاير بينَهما، ويدلُّ عليه صنيع الواقدي وابن سَعد، حيث عقدَا فصلًا لغَزوة السَّويق، وفصلًا آخر لغزوة قَرقَرة الكُدر، وأرَّخا لغَزوة السَّويق بأنَّها كانت في ذي الحجَّة، وغزوة قَرقَرة في المحرَّم(٢)، وذهب بعضُ أهل العلم إلى أنَّهما غزوةٌ واحدةٌ، قال ابنُ كثير: «غزوة السَّويق في ذي الحجَّة منها، وهي غزوة قَرقَرة الكُدر»(٣).

«**وَالغَزْوُ**»؛ أي: الغَزوات.

«**فِي الثَّالِثَةِ المُشْتَهِرَهْ**»؛ أي: السَّنة الثَّالثة من الهجرة مشتَهرة وكثيرة، كما سيأتي الإشارة إلى ذلك عند النَّاظم.

[٥٨] فِي غَطَفَــــانَ وبَـــــني سُــــلَيْمِ ... وأمُّ كُلْثُــــومَ ابنـــــةُ الكَـــرِيمِ

[٥٩] زوَّجَ عثمــــــانَ بهـــــا وَخَــــصَّهْ ... ثُــــمَّ تَــــزَوَّجَ الـــنَّبيُّ حَفْــصَهْ

[٦٠] وَزَيْنَبـــاً ثُــــمَّ غَـــزَا إِلى أُحُـــد ... فِي شَـهْرِ شـوَّالٍ وَحَمْــراءِ الأَسَــد

«**فِي غَطَفَانَ**»؛ أي: «غزوة غَطَفان»، وتسمَّى ـ أيضًا ـ: «غزوة ذي أَمَر»؛ لأنَّ النَّبيَّ

---

(١) انظر: «السِّيرة النَّبويَّة» لابن هشام (١/ ٨٠٤ ـ ٨٠٦).

(٢) انظر: «المغازي» للواقدي (١/ ١٨١ ـ ١٨٢)، و«الطَّبقات الكبرى» لابن سعد (٢/ ٣٠ـ ٣١).

(٣) «البداية والنِّهاية» (٥/ ٣٠٢).

ـ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ ذهب إلى تلك المنطقة من جهة «نَجد»، ويقال: إنَّها قريبة من المنطقة المعروفة الآن بـ«النُّخيل»، تبعُد عن المدينة إلى جهة الشَّرق ما يقرُب من مِائة وعشرين كيلو مترًا، وذلك في السَّنة الثَّالثة من الهجرة في أوَّلها، فأقام هناك صفرًا كلَّه، ثمَّ رجع ولم يلقَ ﷺ حربًا[1].

«وَبَني سُلَيْمِ»؛ يعني بذلك «غزوة بني سُليم»، وهـٰذه كانت عقِب فراغِه ـ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ من غزوة بَدر، فلمَّا قدمَ المدينة لم يُقِم بها إلَّا سبع ليالٍ حتَّى غزَا بنفسِه يريد بني سُلَيم، فبلغ ماءً من مياهِهم يقال له: «الكُدْر»، فأقام عليه ثلاثَ ليالٍ، ثمَّ رجع إلى المدينة، ولم يلقَ ﷺ حربًا[2]، وكانت في السنة الثانية لا الثالثة.

«وَأُمُّ كُلْثُومَ ابْنَةُ الكَرِيمِ زَوَّجَ عُثْمَانَ بِهَا وَخَصَّهْ»؛ أي: زَوَّج النَّبيُّ ـ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ عثمانَ بنَ عفَّان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ابنتَه أمَّ كُلثوم رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، وكان متزوِّجًا أختَها رقيَّة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، وماتت عنه ـ كما تقدَّم ـ عُقيب غزوة بَدر، ولـٰذا كان يلقَّب بذي النُّورين، وفاز رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بهـٰذه الخَصِيصَة الَّتي لم يشاركه فيها أحدٌ من العالمين، إذ لم يحصُل أنَّ أحدًا تزوَّج بابنتَيْ نبيٍّ واحدةٍ تلو الأخرى إلَّا عثمان بن عفَّان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

«ثُمَّ تَزَوَّجَ النَّبِيُّ حَفْصَهْ» بنت عُمَر بن الخطَّاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قال ابنُ كثير في «الفصول»[3]: «ثمَّ تزوَّج حفصَة بنت عُمر بن الخطَّاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في السَّنة الثَّالثة من الهجرة».

---

(١) انظر: «السِّيرة النَّبويَّة» لابن هشام (١/ ٨٠٧ـ ٨٠٨).

(٢) نفسه (١/ ٨٠٤).

(٣) (ص ٢٣٠).

روى البخاريُّ[(١)] عن عبد الله بن عُمَر رضي الله عنهما يحدِّث أنَّ عُمَر بن الخطَّاب حين تأيَّمت حَفصة بنت عُمَر من خُنَيس بن حُذَافة السَّهمي ـ وكان من أصحاب رسُول الله ﷺ ـ فتوفِّي بالمدينة، فقال عُمَر بن الخطَّاب: أتيتُ عثمانَ بن عفَّان فعرضتُ عليه حفصة فقال: سأنظُر في أمري، فلبثتُ ليالي ثمَّ لقيَني، فقال: قد بدا لي أن لا أتزوَّج يومي هذا، قال عُمر: فلقيتُ أبا بكر الصِّدِّيق؛ فقلتُ: إن شئتَ زوَّجتُك حفصَة بنت عُمر، فصَمت أبو بكر فلم يَرجع إليَّ شيئًا، وكنتُ أوجدَ عليه منِّي على عثمان، فلبثتُ ليالي، ثمَّ خطبها رسولُ الله ﷺ فأنكحتُها إيَّاه، فلقيَني أبو بكر فقال: لعلَّك وجدتَ عليَّ حين عرضت عليَّ حفصَة فلم أرجِع إليك شيئًا؟ قال عُمَر: قلت: نَعم، قال أبو بكر: فإنَّه لم يمنعني أن أرجع إليك فيما عرضتَ عليَّ إلَّا أنِّي كنتُ علمتُ أنَّ رسولَ الله ﷺ قد ذكرها، فلم أكُن لأفشيَ سرَّ رسول الله ﷺ، ولو تركها رسولُ الله ﷺ قبلتُها».

«**وَزَيْنَبًا**»؛ أي: وتزوَّج النَّبيُّ ـ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ بعد حفصة زينبَ بنت خُزيمة الهلاليَّة، قال ابنُ إسحاق[(٢)]: «ثمَّ تزوَّج رسولُ الله ﷺ بعد حفصةَ زينبَ ابنةَ خُزَيمة الهلاليَّة، أمَّ المساكين، وكانت قبله عند الحُصَين بن الحارث أو عند أخيه الطُّفَيل ابن الحارث بن عبد المطَّلب بن عبد مَنَاف، ماتت بالمدينة، أوَّل نسائه موتًا، ولم يُصب رسولُ الله ﷺ منها ولدًا».

«**ثُمَّ غَزَا إِلَى أُحُدْ فِي شَهْرِ شَوَّال**» من السَّنة الثَّالثة من الهجرة، وهي الوقعة العظيمة

---

(١) في «صحيحه» (٥١٢٢).

(٢) «السِّيرة النَّبويَّة» (١/ ٢٨١).

الَّتي امتحنَ الله عَزَّوَجَلَّ فيها عبادَه المؤمنين واختَبرهم، وميَّز بها بينَ المؤمنين والمنافقين الَّذين ظهروا بعد معركة بَدر، فجاءت معركة أُحُد لتميِّز الصَّفَّ، واستشهد فيها منَ المسلمين نحو السَّبعين، منهُم سيِّد الشُّهداء حمزة بن عبد المطَّلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفيها جُرح رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في وجهه، وكُسرت رباعيَّته اليُمنى السُّفلى بحَجر، وهشِّمت البيضة على رأسه ـ صلواتُ الله وسلامُه وبركاتُه عليه ـ، وكان ممَّا نزل من القرآن في يوم أُحُد ستُّون آية مِن آل عمران، أوَّلها: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ﴾ [آل عمران: ١٢١].

ومن حِكمة الله وسُنَّته في رُسله وأتباعِهم أن يُدَالوا مَرَّةً، ويُدَالَ عليهم أُخرى، لكن تكونُ لهم العاقبةُ، فإنَّهم لو انتَصرُوا دائمًا، دخلَ معهم المؤمنون وغيرُهم، ولم يتميَّز الصَّادِقُ مِن غيره، ولو انتُصِرَ عليهم دائمًا؛ لم يحصُل المقصودُ من البعثة والرِّسالة، فاقتضت حِكمةُ الله أن جَمع لهم بينَ الأمرين ليتميَّز مَن يتبعُهم ويُطيعهُم للحقِّ وما جاؤوا به، ممَّن يتبعُهم على الظُّهور والغَلبة خاصَّةً، وهذا ما جرى في «أُحُد»، وكانت العاقبة للمؤمنين[١].

«وَحَمْراءِ الأَسَدْ»؛ وهـٰذه كانت بعد غزوة أُحُد مباشرة، والمسلمون في مُصابِهم وفي جِراحهم، حيث نَدَب رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى النُّهوض في طلب العدوِّ إرهابًا لهم، وأَمَر أن لا يخرجَ معه إلَّا مَن حضَر أُحُدًا، فلم يخرجْ إلَّا مَن شَهد أُحُدًا، سوى جابر بن عبد الله، فإنَّ أباه كان قد استَخلفه على أهلِه وبناتِه في المدينة، فقُتل أبوه يوم أُحُد، فاستأذن

---

(١) انظر: «زاد المعاد» (٣/ ٢١٩).

رسولَ الله ﷺ في الخروج إلى «حمراء الأسد» فأذِن له، فنهض المسلمون كما أمَرهم رسولُ الله ﷺ وهُم مُثقلون بالجِراح حتَّى بلغوا «حمراء الأسَد»، وهي مكانٌ يبعُد عن المدينة نحو عشرين كيلو مترًا من ناحية الجنوب، وفي ذلك نزل قولُ الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾﴾ [سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ][(1)].

[٦١] والخَمْـرُ[(2)] حُرِّمَـتْ يقينًـا فاسْـمَعَنْ   هـذا وفيهـا وُلِـدَ الـسِّبْطُ الحـسَنْ

«**والخَمْرُ حُرِّمَتْ**»؛ أي: في السَّنة الثَّالثة من الهجرة، في المشهور عند كثير من أهل العلم، وقيل: إنَّها حُرِّمت في السَّنة الرَّابعة عقِب غزوة بني النَّضِير.

«**يَقِينًا**»؛ أي: وتحريمُها أمرٌ متيقَّنٌ لا شكَّ فيه ولا ريب، وفي ذلك نزل قولُ الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المَائِدَة: ٩٠].

«**فاسْمَعَنْ**»؛ سماع قَبول وإذعان.

«**وَفِيهَا**»؛ أي: السَّنة الثَّالثة.

«**وُلِدَ السِّبْطُ**»؛ أي سبط النَّبيِّ ﷺ، «**الحَسَنْ**» ابن عليِّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

قال ابنُ حجر في كتابه «الإصابة»[(3)]: «الحسن بن عليِّ بن أبي طالب بن عبد المطَّلب

---

(١) انظر: «البداية والنِّهاية» (٥/ ٤٥٤)، و«الفصول» لابن كثير (ص١١٩ ـ ١٢٠).

(٢) في «د»: «فالخمر».

(٣) (٢/ ٥٣٤ ـ ٥٣٥).

بن هاشم بن عبد مناف الهاشمي، سبط رسولِ الله ﷺ وريحانته، أمير المؤمنين، أبو محمَّد، ولد في نصف شهر رمَضان سنة ثلاث من الهجرة، قاله ابن سَعد وابن البرقي وغيرُ واحد، وقيل: في شعبان منها، وقيل: سنة أربع، وقيل: سنة خمس، والأوَّل أثبت».

[٦٢] وكَانَ في الرَّابِعَةِ الغَزْوُ إلى بَنِي النَّضِيرِ في رَبِيعٍ أوَّلا

«**وَكَانَ فِي الرَّابِعَةِ**»؛ أي: السَّنة الرَّابعة منَ الهجرة بعد غزوة أُحُد، والنَّاظم تابعٌ في ذلك ابنَ إسحاق[١]، وذهب عروة بن الزُّبير والزُّهري إلى أنَّها كانت قبل غزوة أُحُد[٢].

«**الغَزْوُ إِلَى بَنِي النَّضِيرِ**»؛ أي إلى يهود بني النَّضير.

«**فِي رَبِيعٍ أَوَّلا**»؛ أي في شهر ربيع الأوَّل.

وكان سبب هـٰذه الغَزوة أنَّ رجلًا من أصحاب النَّبيِّ ﷺ قتَل رجُلَين لهما عهدٌ من النَّبيِّ ﷺ لم يشْعُر به، فقال ﷺ: «**لأدينَّهُما**»، فخرج النَّبيُّ ـ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ ومعه أبو بكر وعُمَر وطائفةٌ من أصحابه إلى يهود بني النَّضير ليُعينوه في ديَّتِهما، لما بينَهم وبينه من الحِلْف، فقالوا: نعم، فاجتَمع اليهود، والنَّبيُّ ﷺ جالسٌ عندهم، وتشاوَرُوا، وقالوا: مَن رجل يُلقي على محمَّد هـٰذه الرَّحى فيقتلَه! فانبعثَ أشقاها عَمْرو بن جحَاش ـ لعنه الله ـ، ونزل جبريل من عند ربِّ العالمين على رسوله فأعلمَه بما همُّوا به، فنهض رسول الله ﷺ من وقتِه راجعًا إلى المدينة، ثمَّ تجهَّز لقتالهم؛ لأنَّهم نقضُوا العهدَ، وخانوا الرَّسولَ ـ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ أعظَمَ خيانةٍ، وهمُّوا بقتلِه، فخرج بنفسِه لقتالهم،

---

(١) انظر: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٩٩٣).

(٢) انظر: «صحيح البخاري مع فتح الباري» (٧/ ٣٣٠).

وحاصَرَهم ستَّ ليالٍ، فقَذَف ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ في قلوبهم الرُّعبَ، وسألوا رسولَ الله ﷺ أن يجليَهم، ويكفَّ عن دمائهم، على أنَّ لهم ما حَمَلت الإبلُ من أموالهم إلَّا السِّلاح، ففَعل، وفيهم أنزل اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ سورةَ الحشر[1].

[٦٣] وَبَعْدُ موتُ زينبَ المقدَّمَهْ   وبعدَهُ نكاحُ أمِّ سَلَمَهْ

«وبَعْدُ»؛ أي: بعد ذلك.

«مَوْتُ زَيْنَبَ»؛ بنت خُزيمة الهلاليَّة أمِّ المساكين، زوج النَّبيِّ ﷺ.

«المُقَدَّمَهْ»؛ ذكرًا في هذا النَّظم، حيث مرَّ قريبًا ذكرُ زواج النَّبيِّ ﷺ بها.

قال الحافظ في «الإصابة»[2]: «وكان دخولُه ﷺ بها بعد دخولِه على حفصَة بنت عُمَر، ثمَّ لم تلبث عنده إلَّا شهرين أو ثلاثة وماتت».

ونقل عن ابنِ الكلبي أنَّه ﷺ تزوَّجها في شهر رمضان سنة ثلاث، فأقامت عنده ثمانية أشهر، وماتت في ربيع الآخر سنة أربع.

«وَبعْدَهُ نِكَاحُ أُمِّ سَلَمَهْ» بنت أميَّة بن المغيرة القُرشيَّة المخزوميَّة، كانت ممَّن أسلم قديمًا هي وزوجُها أبو سَلَمة بن عبد الأسَد بن المغيرة، وهاجرَا إلى الحبشة فولدت له سَلَمة، ثمَّ قدمَا إلى مكَّة وهاجرَا إلى المدينة، وكانت هجرةُ زوجِها أبو سَلَمة سابقةً لهجرتِها؛ ولمَّا توفِّي عنها زوجُها تزوَّجها رسولُ الله ﷺ.

---

(١) انظر: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٧٩٣ ـ ٧٩٧)، و«البداية والنِّهاية» (٥/ ٥٣٣ ـ ٥٤٩).

(٢) (١٣/ ٤٢٦ ـ ٤٢٧).

جاء في «صحيح مسلم»[١] عن أمِّ سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنَّها قالتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ، يَقُول: «**مَا مِنْ مُسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ، فَيَقُولُ مَا أَمَرَهُ اللهُ: إِنَّا لله وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، اللَّهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي، وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا، إِلَّا أَخْلَفَ اللهُ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا**»، قالت: فلمَّا مات أبو سَلَمة، قلتُ: أيُّ المسلمين خيرٌ من أبي سَلمة؟ أوَّل بيت هاجر إلى رسُول الله ﷺ، ثمَّ إنِّي قلتُها؛ فأخلَفَ الله لي رسولَ الله ﷺ، قالت: أرسل إليَّ رسولُ الله ﷺ حاطبَ بن أبي بَلْتَعة يخطبُني له، فقلتُ: إنَّ لي بنتًا وأنا غيور، فقال: «**أَمَّا ابْنَتُهَا فَنَدْعُو اللهَ أَنْ يُغْنِيَهَا عَنْهَا، وَأَدْعُو اللهَ أَنْ يَذْهَبَ بِالغَيْرَةِ**».

وكان ذلكَ بعد وفاة زينب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قال ابنُ حجر في «الإصابة»[٢]: «ذكر ابنُ سعد في ترجمة أمِّ سَلَمة بسند منقطعٍ عنها في خِطبة النَّبيِّ ﷺ لها، قالت: «فتزوَّجني فنقَلَني إلى بيتِ زَينب بنت خُزَيمة أمِّ المساكين بعد أن ماتَت»».

[٦٤] وبنتِ جَحْشٍ ثمَّ بَدْرِ الموعِدِ[٣] وبَعْدَها الأَحْزابُ فَاسْمَعْ واعْدُدِ

«**وَبِنْتِ جَحْشٍ**»؛ أي: وتزوَّج ـ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ زَيْنب بنت جَحْش الأسديَّة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، في السَّنة الرَّابعة في قول النَّاظم رَحِمَهُ اللَّهُ وآخرين، وقيل: سنة ثلاث، وقيل: سنة خمس[٤].

ونزل بسببها آيةُ الحجاب، وكانت قبله عند مولاه زَيد بن حارثة، وفيها نزلت:

---

(١) رقم (٩١٨).

(٢) (١٣/ ٤٢٧).

(٣) في «ت»: «الوعد».

(٤) انظر: «الإصابة» (١٣/ ٤١٧)، و«سبل الهدى والرَّشاد في سيرة خير العباد» (١٢/ ١٠٨).

﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا﴾ [الأحزاب: ٣٦]، فكان الَّذي زوَّجها منه ربُّ العالمين ـ تبارك وتعالى ـ، كما ثبت في «صحيح البخاري»[١] عن أنس بن مالك: «أنَّ زَينب بنت جَحْش كانت تَفْخَر على أزواج النَّبيِّ ﷺ تقول: زوَّجكنَّ أهاليكُنَّ، وزوَّجني اللهُ تعالى من فوقِ سَبع سماوات».

وكانت أوَّل نسائه لحوقًا به، ففي «الصَّحيحين»[٢] عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**أَسْرَعُكُنَّ لَحَاقًا بِي أَطْوَلُكُنَّ يَدًا**»، قالت: فكُنَّ يتطاولْنَ أيَّتُهنَّ أطوَلُ يدًا، قالت: فكانت أطولنا يدًا زينبُ؛ لأنَّها كانت تعملُ بيَدِها وتَصدَّق.

«**ثُمَّ بَدْرِ المَوْعِدِ**»؛ أي: ثمَّ غزوة بَدر الموعد، وتسمَّى «بَدر الآخرة»؛ لأنَّ الغزوات الَّتي تتعلَّق ببَدر ثلاث: الأولى، والكبرى، والآخرة، ويقال لها: «بَدر الموعد»؛ لأنَّهم تَواعدوا إليها بعد أُحُد، وذهب النَّبيُّ ـ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ في الموعد، وبقي ثماني ليال، وخرج كفَّار قُريش من مكَّة بقيادة أبي سفيان حتَّى نزلوا مجنَّة من ناحية الظَّهران ثمَّ بدَا له الرُّجوع، فقال: يا معشَر قريش! إنَّه لا يُصْلِحُكم إلَّا عامٌ خَصيب، تَرعون فيه الشَّجر، وتشربون فيه اللَّبن، فإنَّ عامَكم هـٰذا مجدبٌ، وإنِّي راجعٌ فارجعوا، فرجَع المشركون[٣].

«**وَبَعْدَهَا**»؛ أي: بعد غزوة «بَدر الموعد» غزوة «**الأَحْزَاب**»؛ وتسمَّى ـ أيضًا ـ:

(١) رقم (٧٤٢٠).

(٢) «صحيح البخاري»: رقم (١٤٢٠)، و«مسلم»: رقم (٢٤٥٢).

(٣) «سيرة ابن هشام» (٢/ ١٠١٧)، و«البداية والنِّهاية» (٥/ ٥٧٣ ـ ٥٧٨).

«غزوة الخَنْدق»، قال ابنُ كثير في كتابه «الفصول»[(١)]: «الَّتي ابتلى اللهُ فيها عبادَه المؤمنين، وزلزلهم وثبَّت الإيمانَ في قلوب أوليائه، وأظهَر ما كان يبطنُه أهلُ النِّفاق وفضحَهم وقرَّعهم، ثمَّ أنزل نصْرَه، ونصَرَ عبدَه، وهزَمَ الأحزابَ وحدَه، وأعزَّ جندَه، وردَّ الكَفَرة بغيظهم، ووقَى المؤمنين شرَّ كيدِهم، وذلك بفضله ومنِّه، وحرَّم عليهم شرعًا وقدرًا أن يغزوا المؤمنين بعدها؛ بل جعلهم المغلوبين، وجعل حزبَه هم الغالبين، والحمد لله ربِّ العالمين، وكانت سنة خمس في شوَّالها على الصَّحيح من قولي أهل المغازي والسِّير»، وهو ما صحَّحه أيضًا ابنُ القيِّم رَحِمَهُ اللهُ، وذكر الشَّواهد على ذلك[(٢)].

ومن أهل العِلم من يرى أنَّها كانت في السَّنة الرَّابعة من الهجرة منهم موسى ابن عقبة، وابن حزم وقال: «بلا شكٍّ»[(٣)]، وهو اختيار النَّاظم رَحِمَهُ اللهُ، وسيأتي ـ أيضًا ـ إشارته إلى هذا الخلاف.

وكان سبب غزوة الخَندق أنَّ نفرًا من يهود بني النَّضير الَّذين أجلاهم ﷺ من المدينة إلى خَيبر... خرجوا إلى قريش بمكَّة؛ فألَّبوهم على حَرب رسول الله ﷺ ووعدوهم من أنفسِهم النَّصر فأجابوهم، ثمَّ خرجوا إلى غَطَفان، فدعوهم فأجابوهم أيضًا، وخرجت قريشٌ وقائدُهم أبو سفيان بن حَرب وعلى غَطفان عُيَينة بن حِصْن، كلُّهم في نحو عشرة آلاف رجُلٍ، فلمَّا سمع رسولُ الله ﷺ بمَسيرهم إليه؛ أمَر المسلمين

(١) (ص١٣٥ ـ ١٣٦).

(٢) انظر: «زاد المعاد» (٣/ ٢٦٩).

(٣) «جوامع السِّيرة» (ص١٨٥)، وانظر: الفصول لابن كثير (ص١٣٦).

بحَفْر خَنْدقٍ يحولُ بينَ المشركين وبينَ المدينة، وكان ذلك بإشارة سَلمان الفارسي... وخرج رسولُ الله ﷺ فتحصَّن بالخَندق، وهو في ثلاثة آلاف على الصَّحيح من أهل المدينة... وجعلوا ظهورَهم إلى سَلْع، وأمر رسولُ الله بالنِّساء والذَّراري فجُعلوا في آطام المدينة، واستَخلف عليهم ابنَ أمِّ مكتوم رضي الله عنه.

ونقضَ بنو قُريظة العهدَ الَّذي كان بينَهم وبينَ رسول الله ﷺ؛ فعظُم ذلك الأمر على المسلمين، وعظُم الخطَر، وكان أمرُهم كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿هُنَالِكَ ٱبْتُلِيَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾﴾ [سُورَةُ الأَحْزَابِ]، ثمَّ إنَّ الله صنع أمرًا من عنده، خذل به الكفَّار، وفلَّ جموعهم، وفرَّق شملَهم، وأرسلَ عليهم الجنود والرِّيح تُزَلْزِلهم؛ فرحَلوا من ليلتِهم[1].

«فَاسْمَعْ» هذه الأخبار العظيمة عن مغازي النَّبيِّ ﷺ، «وَاعْدُدِ»؛ أي: واعتنِ بمَعرفة ما يُذكر من أعدادٍ وتواريخ.

[٦٥] ثـــمَّ بَنِـــي قُرَيْظَـــةٍ وفِيهِمَـــا	خُلْـــفٌ وفِي ذَاتِ الرِّقَـــاعِ عُلِّمَـــا
[٦٦] كيفَ صلاةُ الخوْفِ والقَصْرُ نُمِي	وآيَـــةُ الحِجَـــابِ والتَّـــيَمُّمِ
[٦٧] قِيـــلَ[2] ورَجْمُـــهُ اليَهُـــودِيَّيْنِ[3]	ومَوْلِـــدُ الـــسِّبْطِ الرِّضَـــا الحُـــسَيْنِ

«ثُمَّ» غَزو «بَنِي قُرَيْظَةٍ» وتقدَّم أنَّهم نقضوا العهدَ في غَزوة الخندق، وظاهروا قُريشًا، وأعانوهم على حَرب الرَّسول ـ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ، فلمَّا فرغ ـ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ من الأحزاب؛ غزاهُم.

---

(١) «الفصول في السِّيرة» لابن كثير (ص١٣٧ ـ ١٤٠) باختصار.

(٢) في «ت»: «قبل».

(٣) في «ت»: «اليهود بين».

ففي «الصَّحيحين»[١] عن عائشة رضي الله عنها: «**أنَّ رسُولَ الله ﷺ لمَّا رجع يوم الخَندق ووضَع السِّلاح واغتَسل، فأتاه جبريل وقد عَصَب رأسَه الغُبار، فقال: وضعتَ السِّلاح؟! فوالله ما وضعتُه؛ فقال رسولُ الله ﷺ: فأيْنَ؟ قال: هاهُنا وأومَأَ إلى بَني قُريظَةَ، قالت: فخَرَج إليهم رسولُ الله ﷺ**».

وفيهما[٢] عن ابن عُمَر قال: «قال النَّبيُّ ﷺ لنا لَمَّا رجَع من الأحزاب: **لَا يُصَلِّيَنَّ أَحَدٌ العَصْرَ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ**، فأدركَ بعضُهم العَصر في الطَّريق، فقال بعضُهم: لا نصلِّي حتَّى نأتيَها، وقال بعضُهم: بل نصلِّي؛ لمْ يُرِدْ منَّا ذلك، فذُكر للنَّبيِّ ﷺ فلم يعنِّف واحدًا منهُم».

وكان نقضُ قبائل اليهود للعَهد على إثر المعارك الكِبار الأمَّهات الَّتي دارت بين النَّبيِّ ﷺ والمشركين، فبَنُو قَيْنُقاع بعد بَدر، وبنو النَّضير بعد أُحُد، وبنو قُرَيظة بعد الأحزاب.

«**وَفِيهِمَا خُلْفٌ**»؛ أي: وفي تاريخ هاتَيْن الغَزوتَيْن: الأحزابِ وبني قُريظة خلافٌ بين المؤرِّخين كما سبق الإشارةُ إلى ذلك.

«**وَفِي ذَاتِ الرِّقَاعِ**»؛ أي: وفي غزوة ذاتِ الرِّقاع، وكانت قبل «نجد» لقتال بني مُحارب وبني ثَعْلَبة من غَطفان، وفي سبب تسميتِها بـ«ذات الرِّقاع» أقوالٌ[٣]؛ من أقوالها أنَّها سُمِّيت بذلك لأنَّهم كانوا يربطون أرجلَهم بالخِرَق من شدَّة الحرِّ، يدلُّ لذلك ما جاء في «الصَّحيحين»[٤] من حديث أبي بُردة عن أبي موسى قال: «خرجنا مع رسُول الله ﷺ

---

(١) «صحيح البخاري»: رقم (٢٨١٣، ٤١١٧، ٤١٢٢)، و«مسلم»: رقم (١٧٦٩).

(٢) «صحيح البخاري»: رقم (٩٤٦، ٤١١٩)، واللَّفظ له، و«مسلم»: رقم (١٧٧٠) بلفظ: «الظّهر».

(٣) انظر: «البداية والنِّهاية» (٥/ ٥٥٩).

(٤) «صحيح البخاري»: رقم (٤١٢٨)، و«مسلم»: رقم (١٨١٦).

في غَزاة، ونحن ستَّة نفرٍ بيننا بعيرٌ نَعْتَقِبُهُ[١]، فنَقِبَت[٢] أقدامُنا، فنقِبَت قَدَماي وسقَطَت أظفاري، فكنَّا نلفُّ على أرجلنا الخِرق، فسمِّيت غزوة ذات الرِّقاع؛ لما كنَّا نعصِّب على أرجلِنا من الخِرق»، قال أبو بُردة: فحدَّث أبو موسى بهـٰذا الحديث ثمَّ كَره ذلك، قال: كأنَّه يكونُ شيئًا من عملِه أفشاه.

واختُلف في وقتِ هـٰذه الغَزوة، والصَّحيحُ كما قال ابنُ القيِّم[٣] وابنُ كثير[٤] أنَّها بعد الخَندق، وممَّا يدلُّ لذلك أنَّ ابنَ عُمَر إنَّما أجازه ﷺ في القتال أوَّل ما أجازَه يومَ الخَندق، وثبتَ عنه في «الصَّحيحين»[٥] أنَّه قال: غزوتُ مع رسولِ الله قِبَل نَجد، فذكَر صلاةَ الخوف.

«**عُلِّمَا**»؛ أي: النَّبيُّ ﷺ.

«**كَيْفَ صَلاَةُ الخَوْفِ**»؛ أي: أنَّ تعليم النَّبيِّ ﷺ كيفيَّة صلاة الخوف كان في هـٰذه الغَزوة.

قال ابنُ القيِّم: «هكذا قال ابنُ إسحاق وجماعةٌ من أهل السِّير والمغازي في تاريخ هذه الغَزوة، وهو مشكلٌ جدًّا؛ فإنَّه قد صحَّ أنَّ المشركين حبَسُوا رسولَ الله ﷺ يومَ الخندق عن صلاة العَصر حتَّى غابت الشَّمس، والظَّاهر أنَّ أوَّل صلاةٍ صلَّاها للخوف بعُسْفان، كما في حديثٍ صحَّحه التِّرمذي، وصحَّ أنَّه صلَّاها بذات الرِّقاع، فعُلم أنَّها بعد

---

(١) قال الحافظ في «الفتح» (٧/ ٤٢١): «أي نركبه عقبة عقبة، وهو أن يركبَ هـٰذا قليلًا ثمَّ ينزلُ فيركب الآخر بالنَّوبة حتَّى يأتي على سائرهم».

(٢) قال الحافظ في المرجع السَّابق: «بفتح النُّون وكسر القاف بعدها موحَّدة، أي: رقَّت، يقال: نقب البعير إذا رقَّ خفُّه».

(٣) انظر: «زاد المعاد» (٣/ ٢٥٢ ـ ٢٥٤).

(٤) انظر: «الفصول في سيرة الرَّسول» (ص١٣٠ ـ ١٣١).

(٥) «صحيح البخاري»: رقم (٤١٣٢، ٤١٣٣)، و«مسلم»: رقم (٨٣٩).

عُسْفان، ولا خلافَ أنَّ غزوة عُسْفان بعد الخندق، ويؤيِّده أنَّ أبا هريرة وأبا موسى شهدا ذاتَ الرِّقاع»[١].

«**وَالْقَصْرُ**»؛ أي: قصر الصَّلاة الرُّباعيَّة.

«**نُمِي**»؛ أي رُفع ونُقل عنه ـ صلواتُ الله وسلامُه عليه ـ في حوادث السَّنة الرَّابعة.

قال ابنُ الأثير: «وقيل: إنَّ فيها ـ يعني السَّنة الرَّابعة ـ قصرت الصَّلاة»[٢].

«**وَ**» نزول «**آيَةُ الحِجَابِ**» قال ابنُ كثير في «الفصول»[٣]: «ولا خلافَ أنَّه نزل صبيحَة دخولِه ﷺ بزَيْنَب بنتِ جَحْش»، وفي وقت دخولِه بها خلافٌ تقدَّمت الإشارة إليه.

«**وَ**» نزول آية «**التَّيَمُّمِ**» كان في هذه السَّنة أيضًا.

وسببُ نزولها: ضَياع عقد عائشة رضي الله عنها في بعض الغَزوات، قيل: في السَّنة الرَّابعة كما هو اختيار النَّاظم رَحِمَهُ اللَّهُ، وقيل: بعد ذلك في إثر غَزوة بني المُصْطَلق[٤].

«**قِيلَ وَرَجْمُهُ اليَهُودِيَّيْنِ**»؛ أي وممَّا قيل إنَّه من حوادث السَّنة الرَّابعة رجمه ﷺ اليهوديين، قال ابنُ الأثير: «وفيها رَجم رسولُ الله ﷺ اليهوديَّ واليهوديَّة، والقصَّة معروفة»[٥].

وقد رواها البخاري ومسلم[٦] من حديث عبد الله بن عُمَر رضي الله عنهما أنَّ رسول الله ﷺ أُتي بيهوديٍّ ويهوديَّة قد زَنَيا؛ فانطلق رسولُ الله ﷺ حتَّى جاء يهود، فقال: «مَا

---

(١) «زاد المعاد» (٣/ ٢٥٠ـ٢٥٢) باختصار وتصرف.

(٢) «أسد الغابة» (١/ ٢٩).

(٣) (ص١٥٧).

(٤) انظر: «فتح الباري» (١/ ٤٣٢)، و«زاد المعاد» (٣/ ٢٥٨ ـ ٢٥٩).

(٥) «أسد الغابة» (١/ ٢٩)، وانظر: «إمتاع الأسماع» للمقريزي (١/ ٢٠٢).

(٦) «صحيح البخاري»: رقم (٣٦٣٥، ٦٨٤١)، و«صحيح مسلم»: رقم (١٦٩٩) واللَّفظ له.

تَجِدُونَ فِي التَّوْرَاةِ عَلَى مَنْ زَنَى؟»، قالوا: نسوِّد وجوههما ونُحَمِّلهما، ونخالف بينَ وجوههما، ويُطاف بهما، قال: «فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ»، فجاءوا بها فقَرأوها حتَّى إذا مرُّوا بآية الرَّجم؛ وضَع الفتى الَّذي يقرأُ يده على آية الرَّجم، وقَرأ ما بينَ يديها، وما وراءها، فقال له عبدُ الله بن سَلَام ـ وهو معَ رسُول الله ﷺ ـ: مُرْهُ فليَرْفَع يدَه، فرفَعها؛ فإذا تحتَها آية الرَّجم، فأَمَر بهما رسولُ الله ﷺ فرُجِمَا».

قال عبد الله بن عُمر: كنتُ فيمَن رجمهما، فلقَد رأيتُه يقِيها من الحجارةِ بنفسِه.

«**وَمَوْلِدُ السِّبْطِ الرِّضَا الْحُسَيْنِ**»؛ أي: في هٰذه السَّنة الرَّابعة من الهجرة.

قال الحافظُ ابنُ حَجر رَحِمَهُ اللهُ في كتاب «الإصابة»[1]: «الحسين بنُ عليِّ بن أبي طالب ابن عبد المطَّلب بن هاشم بن عبد مناف الهاشمي، أبو عبد الله، سِبْط رسُول الله وريحانتُه، قال الزُّبير وغيره: ولد في شعبان سنة أربع، وقيل: سنة ستٍّ، وقيل: سنة سبع وليس بشيء»، والأقرب أنَّه في السَّنة الرَّابعة، وبه جزم النَّاظم رَحِمَهُ اللهُ.

[٦٨] وكانَ في الخامسةِ اسْمَعْ وَثِقِ ... الإفكُ في غزْوِ[2] بَنِي المصْطَلِقِ[3]

أي في السَّنة الخامسَة وقعَت حادثةُ الإفْكِ الَّذي رُميت به أمُّ المؤمنين عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، وأنزلَ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ براءتَها منه في آياتٍ تُتلى في كتابِ الله عَزَّ وَجَلَّ، حتَّى إنَّها رَضِيَ اللهُ عَنْهَا لَمَّا نزلتْ تلكَ الآياتُ الكريماتُ قالت متواضعةً: «لَشَأْنِي فِي نَفْسِي كَانَ أَحْقَرَ مِنْ أَنْ

---

(١) (٢/ ٥٤٧).

(٢) في «د»: «غزوة».

(٣) في «د» قدَّم الشَّطر الأخير على الشَّطر الأوَّل.

يَتكَلَّمَ اللهُ فِيَّ بِأَمْرٍ يُتْلَى»[(١)].

قال ابنُ كثير في «تفسيره»[(٢)]: «وقد أجمعَ العلماءُ ـ رحمهم الله ـ قاطبةً على أنَّ مَنْ سَبَّها بعد هذا، ورماها بما رماها به بعد هذا الَّذي ذُكر في هذه الآية، فإنَّه كافر؛ لأنَّه معاندٌ للقرآن».

«فِي غَزْوِ بَنِي المُصْطَلِقِ»؛ وكان غزوهم في السَّنة الخامسة من الهجرة كما ذكر النَّاظم رَحِمَهُ اللَّهُ، وقيل: في السَّادسة.

و«بنو المصطَلَق» هم بطنٌ من بني خُزَاعة، و«المصطَلَق» جدُّهم، وتسمَّى غزوة المُرَيْسِيع؛ نسبةً إلى ماء لهم في تلك المنطقة يقال له: «المُرَيْسِيع»، وقد لقيَهم ـ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ على هـٰذا الماء، وهو موضعٌ من ناحية قُدَيْد إلى جهة السَّاحل، وهزمَهم الله تعالى، فقُتل منهم من قُتل، وسبى ـ صلواتُ الله وسلامُه عليه ـ النِّساء والذُّريَّة، والنَّعم والشَّاء.

[٦٩] وَدُومَـةُ الجَنْـدَلِ قَبْـلُ وحَـصَلْ   عَقْـدُ ابنـةِ الحـارثِ بَعْـدُ وَاتَّـصَلْ

«**وَدُومَةُ الجَنْدَلِ**»؛ بلدةٌ لا تزال معروفةً بهـٰذا الاسم إلى يومنا هـٰذا في منطقة الجوف.

«**قَبْلُ**»؛ أي قبل غَزوة بني المصطَلَق؛ لأنَّ دُومة الجَندل كانت في ربيع الأوَّل من سنة خمس للهجرة، وبني المصطَلَق في السَّنة نفسها في شهر شعبان، كما جزم بذلك ابنُ

(١) رواه البخاري: رقم (٤١٤١، ٧٥٠٠).

(٢) (٦/ ٣١ـ ٣٢).

القيِّم(١) وغيره من أهل العلم.

«وَحَصَلْ» على إثر غزوة بني المصطَلق «عَقْدُ» النَّبيِّ ـ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ على «ابْنَةِ الحَارِثِ» وهي جُوَيْرية بنتُ الحارث رضي الله عنها، وكانت من سَبْيِ بني المصطَلق، وكانت وقعَت في سَهم ثابت بن قَيس فكاتَبها على نفسِها، فقضَى رسولُ الله ﷺ كتابَها، وتزوَّجها فأُعتق بتزويجِه إيَّاها مائة أهل بيتٍ من بني المصطلق إكرامًا لصهر رسولِ الله ﷺ(٢) «بَعْدُ»؛ أي: بعد غزوة بني المصطلق «وَاتَّصَلْ»؛ أي: دخل بها.

[٧٠] وَعَقْدُ رَيْحانَةَ فِي ذِي الخَامِسَهْ ثُمّ بَنُو لِحْيَانَ بَدْءَ السَّادِسَهْ

«وَعَقْدُ رَيْحَانَةَ» بنتُ زيد رضي الله عنها من سَبْيِ بني قُريظة، وكانت صفيَّ رسولِ الله ﷺ فأعتَقها وتزوَّجها، هـٰذا قولٌ، وهو اختيارالنَّاظم رَحِمَهُ اللَّهُ، وقالت طائفةٌ: بل كانت أمَتَه وكان يطَؤُها بملك اليَمين، ورجَّحه ابنُ القيِّم وابنُ كثير وغيرُهما(٣)، قال الصَّالحي: «وبهذا جزم خلائق»(٤)، «فِي ذِي الخَامِسَهْ»؛ أي: السَّنة الخامسة من الهجرة.

«ثُمَّ بَنُو لِحْيَانَ بَدْءَ السَّادِسَهْ»؛ أي: ثمَّ غزوة بني لحيان، وكانت في جمادى الأولى من السَّنة السَّادسة على الصَّحيح، كما قال ذلك الحافظُ ابنُ كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه «الفصول»(٥)، وكانت هـٰذه الغَزوة ليأخُذَ بثأر بَعْث الرَّجيع، فتحصَّنوا في رؤوس

---

(١) (٣/ ٢٥٦).

(٢) انظر: «الفصول» لابن كثير (ص١٥٤).

(٣) انظر: «زاد المعاد» (١/ ١١٣)، و«الفصول» لابن كثير (ص٢٣٨ ـ ٢٣٩).

(٤) «سبل الهدى والرَّشاد» (١٢/ ١٣٨).

(٥) (ص١٥١).

الجبال، فتركهم ـ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ ورجَع، ولم يكن قتال.

[٧١] وبعـــدَهُ استـــسْقَاؤه وذو قَـــرَدْ[١] وَصُـــدَّ عـــن عُمْرتِـــهِ لَمَّـــا قَـــصَدْ

«**وَبَعْدَه**»؛ أي بعد ذلك.

«**اسْتِسْقَاؤُهُ**»، قال ابنُ الأثير: «وفيها (أي سنة ستٍّ) قحط النَّاس؛ فاستسقى رسولُ الله ﷺ فأتاهم المطر»[٢]، وذكر ابنُ القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه «الزَّاد»[٣] أنَّ النَّبيَّ ـ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ استسقى في بعض غزواتِه مع المشركين من غير تعيين السَّنة، فقال: «إنَّه ﷺ استسقى في بعض غزواتِه لَمَّا سبقه المشركون إلى الماء، فأصاب المسلمينَ العطشُ فشكوا إلى رسولِ الله ﷺ، وقال بعضُ المنافقين: لو كانَ نبيًّا لاستسقى لقومه كما استسقى موسى لقومِه، فبلغ ذلك النَّبيَّ ﷺ فقال: «**أَوَقَدْ قَالُوهَا، عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَسْقِيَكُمْ**»، ثمَّ بسط يديه ودعَا، فما ردَّ يديه ﷺ من دعائه حتَّى أظلَّهم السَّحابُ وأُمطروا، فأفْعَم السَّيل الوادي فشَرب النَّاسُ فارتَوَوْا»، والحديث رواه أبو عوانة في «صحيحه»[٤] عن عائشة بنت سَعد بن أبي وقَّاص عن أبيها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

«**وَذُو قَرَدْ**»؛ أي: وغزوة ذي قَرَد، وكانت بعد غزوة بني لحيان بليالٍ، قال الحافظ ابنُ كثير في كتابه «الفصول»[٥]: «ثمَّ أغار بعد قدومِه المدينةَ بليالٍ عيينةُ بن حِصْن في بني

---

(١) في «ت»: «وذو وقر».

(٢) «أسد الغابة» (١/ ٢٩).

(٣) (١/ ٤٥٨).

(٤) رقم (٢٥١٤).

(٥) (ص١٥١ـ ١٥٢).

عبد الله بن غَطفان على لِقاح[1] النَّبيِّ ـ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ الَّتي بالغابة فاستاقَها وقتل راعيها، وهو رجلٌ من غِفار، وأخذُوا امرأتَه، فكان أوَّل مَن نذر بهم سَلَمة ابن عَمْرو بن الأَكْوَع الأسْلَمي رضي الله عنه، ثمَّ انبعث في طلبهم ماشيًا، وكان لا يُسبق، فجعل يرميهم بالنَّبل، ويقول:

خُـــذها أنَـــا ابـــنُ الأكْـــوَع   واليـــومَ يَـــومُ الرُّضَّـــع

يعني اللِّئام، واسترجَع عامَّةَ ما كانَ في أيديهم.

ولَّما وقع الصَّريخ في المدينة؛ خرج رسولُ الله ﷺ في جماعة من الفُرسان فلحقُوا سَلمَةَ بن الأكوع واستَرجعُوا اللِّقاحَ، وبلغ النَّبيُّ ﷺ ماءً، يُقال له: ذو قَرَد، فنَحَر لَقْحَةً ممَّا استرجع، وأقام هناك يومًا وليلةً، ثمَّ رجع إلى المدينة».

«وَصُدَّ» النَّبيُّ ﷺ «عَنْ عُمْرتِهِ لمَّا قَصَدْ» مكَّة معتمرًا، وكان ذلك في السَّنة السَّادسة من الهجرة في غزوة الحديبيَّة، حيث خرج ـ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ في ألف ونيِّفٍ من أصحابه رضي الله عنهم، ولم يتيسَّر لهم العُمرة في تلك السَّفرة، وتصالحوا مع قريش على شروطٍ، ويكونُ الاعتمار منَ العام القابل، ولم يعتَمر ـ صلواتُ الله وسلامُه عليه ـ في تلك الغَزوة، وكانت هـٰذه الهُدنة الَّتي بينَه وبينَ المشركين تعدُّ من الفتوح العظيمة، كما قال ذلك ابنُ مسعود رضي الله عنه وغيرُه[2].

[٧٢] وبَيْعَـــةُ الرِّضْـــوانِ أوَّلْ وَبنَـــى   فِيهـــا بِرَيْحَانَـــةَ هَـــذا بُيِّنَـــا

«**وَبَيْعَةُ الرِّضْوَانِ أَوَّل**»؛ أي: قبل صُلح الحديبيَّة؛ لأنَّ النَّبيَّ ـ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ لمَّا

(١) جمع لقحة، وهي الإبل ذات الدَّرِّ واللَّبن.

(٢) انظر: «الفصول» لابن كثير (ص١٥٩ ـ ١٦١).

بعث عثمانَ إلى مكَّة للتَّفاوض مع المشركين في أمر عمرته ﷺ، ونُقل إلى المسلمين أنَّ عثمان رضي الله عنه قُتل؛ فبايع النَّبيُّ ـ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ الصَّحابة الكرام على القتال، وتسمَّى تلك البيعةُ «بيعةَ الرِّضوان»، وفيها نَزل قولُ الله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾﴾ [سُورَةُ الفَتْحِ].

«**وَبَنَى فِيهَا**»؛ أي: هذه السَّنة.

«**بِرَيْحَانَةَ**»؛ بنتِ زيد رضي الله عنها الَّتي سبق ذكرها، وذِكْر تحقيقِ ابنِ القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ أنَّها من إمائه، ولم تكن زوجةً له، صلواتُ الله وسلامُه عليه.

«**هَذَا بُيِّنَا**»؛ أي: في الأخبار الَّتي وردت في هٰذا الباب.

[٧٣] وفُرِضَ الحجُّ بخُلْفٍ فاسْمَعَهْ وَكَانَ فَتْحُ خَيْبرٍ فِي السَّابِعَهْ

«**وَفُرِضَ الحَجُّ**» في السَّنة السَّادسة، «**بخُلْف**»؛ أي: وفي ذلك خلاف.

قال الحافظ ابنُ كثير في «الفصول»[1]: «وكان فرضُ الحجِّ في السَّنة السَّادسة في قولِ بعض العلماء، وفي التَّاسعة في قول آخَرين منهم، وقيل: سنة عشر، وهو غريب، وأغرب منه ما حكاه إمامُ الحرمَيْن في «النِّهاية» وجهًا لبعض الأصحاب أنَّ فرض الحجِّ كان قبل الهجرة».

«**وَكَانَ فَتْحُ خَيْبَرٍ فِي السَّابِعَهْ**»؛ أي في السَّنة السَّابعة من هجرة النَّبيِّ ﷺ، وهٰذا قولُ جمهور أهل العلم.

---

(١) «الأصول» لابن كثير (ص٢٠٦).

قال ابنُ القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه «الزَّاد»[١]: «قال موسى بن عقبة: ولمَّا قدمَ رسولُ الله ﷺ المدينةَ من الحديبيَّة مكثَ بها عشرينَ ليلةً أو قريبًا منها، ثمَّ خرج غازيًا إلى خَيبر، وكان الله عَزَّ وَجَلَّ وعَده إيَّاها وهو بالحديبيَّة، وقال مالك: كان فتحُ خيبر في السَّنة السَّادسة، والجمهور على أنَّه في السَّابعة».

[٧٤] وَحَظْـــرُ لَحْـــمِ الحُمُـــرِ الأَهْلِيَّـــهْ فِيهَـــا ومُتْعَـــةِ النِّـــسَا الرَّدِيَّـــهْ

«**وَحَظْرُ**»؛ أي: أكل «**لحمِ الحُمُرِ الأَهْلِيَّةْ**» كان «**فِيهَا**»؛ أي: في السَّنة السَّابعة من الهجرة، «**وَ مُتْعَةِ النِّسَا**» أي وحظر متعة النساء فيها أيضاً، «**الرَّدِيَّهْ**»؛ أي الفاسدة من رَدُؤَ رَدَاءَةً فسد فهو رديءٌ.

وكان ذلك يوم خيبر، فقد ورد في ذلك أحاديث منها ما في «الصَّحيحين»[٢] عن عليِّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**أنَّ النَّبيَّ ﷺ نهى عن نِكَاح المُتْعَة يومَ خَيْبر، وعن لُحوم الحُمُر الأهليَّة**».

[٧٥] ثُـــمَّ عَلَـــى أُمِّ حَبِيبَـــةٍ عَقَـــدْ وَمَهْرَهَـــا عَنْـــهُ[٣] النَّجَاشِـــيُّ نَقَـــدْ

«**ثُمَّ عَلَى أُمِّ حَبِيبةٍ**»؛ رَمْلَة بنت أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

«**عَقَدْ**»؛ صلواتُ الله وسلامُه عليه.

«**وَمَهْرَهَا عَنْهُ النَّجَاشِيُّ نَقَدْ**»؛ أي: أنَّ النَّجاشي هو الَّذي دفَع مهرَها عن النَّبيِّ ﷺ.

---

(١) (٣/ ٣١٦).

(٢) أخرجه البخاري: رقم (٥١١٥)، ومسلم: رقم (١٤٠٧).

(٣) «عنه» ساقطة في «ت».

قال ابنُ القيِّم رَحِمَهُ اللهُ في «زاد المعاد»[١]: «ثمَّ تزوَّج أمَّ حبيبة واسمُها رَمْلة بنت أبي سفيان صَخْر بن حَرب القُرشيَّة الأمويَّة، وقيل: اسمُها هند، تزوَّجها وهي ببلاد الحبشة مهاجرة، وأصدَقَها عنه النَّجاشي أربعمائة دينار، وسِيقَت إليه من هناك».

[٧٦] وسُـــمَّ فِي شَـــاةٍ بِهـــا هَدِيَّـــهْ　　ثُـمَّ اصْـطَفَى صَـفِيَّةً صَـفِيَّهْ

«وَسُمَّ» النَّبيُّ صلواتُ الله وسلامُه عليه، «فِي شَاةٍ»؛ وُضِع السُّمُّ فيها.

«بِهَا»؛ أي: السَّنة السَّابعة من الهجرة لَمَّا فُتحت خيبر.

«هَدِيَّهْ»؛ أي: أهدتها للنَّبيِّ ـ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ امرأةٌ من اليهود، والحديث بذلك في «الصَّحيحين»[٢] من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وغيره.

«ثُمَّ اصْطَفَى» النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «صَفِيَّةً»؛ بنت حُيَيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، «صَفِيَّهْ» لنفسِه من سبايا خَيبر، فأسلمَت، فأعتقها النَّبيُّ ـ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ وتزوَّجها، والحديث بذلك مخرَّجٌ في «الصَّحيحين»[٣] من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

[٧٧] ثُـمَّ أَتَـتْ وَمَـنْ بَقِـيْ مُهَـاجِرَا　　وَعَقْـدُ ميمونـةَ كَـانَ الآخِـرَا

«ثُمَّ أَتَتْ» أي أم حبيبة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

«وَ» أتى «مَنْ بَقِي مُهَاجِرًا» في الحبشة، وهُم جعفَر بن أبي طالب وأصحابه، وقد قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لجعفر: «مَا أَدْرِي أَنَا بِقُدُومِ جَعْفَرٍ أَسَرُّ، أَوْ بِفَتْحِ خَيْبَرَ»[٤].

---

(١) (١/ ١٠٩).

(٢) «صحيح البخاري»: رقم (٢٦١٧)، و«مسلم»: رقم (٢١٩٠).

(٣) «صحيح البخاري»: رقم (٣٧١)، و«مسلم»: رقم (١٣٦٥).

(٤) رواه الطَّبراني في «المعجم الكبير» (٢٢/ ١٠٠): رقم (٢٤٤)، قال الألباني في «السِّلسلة الصَّحيحة»

«وَعَقْدُ مَيْمُونَةَ»؛ بنت الحارث الهلاليَّة رضي الله عنها.

«كَانَ الآخِرَا»؛ فلم يتزوَّج ﷺ بعدها.

قال ابنُ القيِّم في «الزَّاد»[١]: «ثمَّ تزوَّج ﷺ ميمونةَ بنت الحارث الهلاليَّة، وهي آخر مَن تزوَّج بها، تزوَّجها بمكَّة في عُمرة القَضاء بعد أن حلَّ منها على الصَّحيح».

[٧٨] وَقَبْـــلُ إِسْـــلامُ أبـــي هُرَيْـــرَهْ وَبَعْـــدُ عُمْـــرَةُ القَـــضَا الـــشَّهِيرَهْ

«وَقَبْلُ»؛ أي قبل ذلك كان «إِسْلاَمُ أَبِي هُرَيْرَهْ»؛ لأنَّ إسلامَ أبي هريرة رضي الله عنه كان قُبيل «خيبر»، وجاء إلى النَّبيِّ - عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - في خيبر ولم يدرك الغَزوةَ[٢].

«وَبَعْدُ»؛ أي: وبعد غزوة خيبر كانت «عُمْرَةُ القَضَا الشَّهِيرَهْ»، فلمَّا رجَع ﷺ إلى المدينة من خيبرَ أقام بها إلى شهر ذي القعدة، فخَرج فيه معتمرًا عُمرة القَضاء الَّتي قاضى قريشًا عليها، فسار حتَّى بلغ مكَّة؛ فاعتمر وطاف بالبيت، وتحلَّل من عمرته[٣].

[٧٩] وَالرُّسْـــلَ فِي المُحَـــرَّمِ المُحَـــرَّمِ[٤] أَرْسَـــلَهُمْ إِلى المُلُـــوكِ فَـــاعْلَمِ

«وَالرُّسْلَ» من الصَّحابة الكرام رضي الله عنهم، وهو مفعولُ فِعل محذوفٍ تقديرُه أرسَلَ.

«فِي المُحَرَّمِ المُحَرَّمِ»؛ أي: في شهر الله المحرَّم، وهو من الشُّهور الأربعة الحُرم.

«أَرْسَلَهُمْ»؛ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ، لَمَّا رجع من الحديبيَّة.

(٦/ ٣٣٥): «إسناده جيِّد».

(١) «زاد المعاد» (١/ ١١٣).

(٢) انظر: «صحيح البخاري» (٢٨٢٧).

(٣) انظر: «سيرة ابن هشام» (٢/ ١١٩٦ ـ ١١٩٩).

(٤) في «ت»: «الحرم».

«إِلَى الْمُلُوكِ فَاعْلَمِ»؛ حيث بعث عددًا من أصحابه، كلٌّ منهم بكتاب إلى مَلِك من الملوك، فبعث عَمْرو بن أُميَّة الضَّمْري إلى النَّجاشي، ودِحْيَة الكَلْبي إلى قَيْصر مَلِك الرُّوم، وعبد الله بنَ حُذَافة السَّهمي إلى كسرى، وحاطِبَ بنَ أبي بَلْتَعة إلى المُقَوْقِس، وآخرين غيرهم، رضِي الله عنهم أجمعين[1].

عن أنس رضي الله عنه: «أنَّ نبيَّ الله ﷺ كتبَ إلى كسرى، وإلى قَيْصر، وإلى النَّجاشيِّ، وإلى كلِّ جبَّار يدعوهم إلى الله تعالى»[2].

[٨٠] وَأُهْدِيتْ مَارِيَةُ القِبْطِيَّهْ فِيهِ وفِي الثَّامِنَةِ السَّرِيَّهْ
[٨١] لِمُؤْتَةٍ سَارَتْ وَفِي الصِّيَام قَدْ كَانَ فَتْحُ البلَدِ الْحَرَام

«وَأُهْدِيَتْ مَارِيَةُ القِبْطِيَّهْ»؛ أهداها للنَّبيِّ ﷺ المقوقِس ملك الإسكندريَّة.

«فِيهِ»؛ أي: في المحرَّم من السَّنة السَّابعة، حين أتاه كتابُ النَّبيِّ ﷺ فقال خيرًا، وقاربَ الأمر، ولم يُسْلِم، وأهدى إلى النَّبيِّ ﷺ مارية.

«وَفِي الثَّامِنَةِ»؛ أي: وفي السَّنة الثَّامنة.

«السَّرِيَّهْ لِمُؤْتَةٍ سَارَتْ»؛ قال ابنُ كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولمَّا كانَ في جمادى الآخرة من سنة ثمانٍ بعثَ ﷺ الأمراءَ إلى «مؤتة» وهي قريةٌ من أرض الشَّام»[3].

وقد أخبر ـ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ أصحابَه بما جرى في تلك السَّريَّة، كما جاء في

(١) انظر: «زاد المعاد» (١/ ١١٩ ـ ١٢٤).

(٢) رواه مسلم (١٧٧٤).

(٣) «الفصول في سيرة الرَّسول» (ص١٧٠).

«صحيح البخاري»[1] عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: خطبَ رسولُ الله ﷺ فقال: «**أَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدٌ فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَهَا جَعْفَرٌ فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَهَا عَبْدُ اللهِ بنُ رَوَاحَةَ فَأُصِيبَ**» وإنَّ عينيه لتذرفان، «**ثُمَّ أَخَذَهَا خَالِدُ بنُ الوَلِيد مِنْ غَيْرِ إِمْرَةٍ فَفَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ، وَمَا يَسُرُّنِي - أو قال: مَا يَسُرُّهُمْ - أَنَّهُمْ عِنْدَنَا**».

«**وَفِي**» شهر «**الصِّيَامِ**» من السَّنة الثَّامنة للهجرة[2]، «**قَدْ كَانَ فَتْحُ البَلَدِ الحَرَامِ**» وهذا الفتح ذكره الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - في مواضع من القرآن منها قوله: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُواْ﴾ [الحديد: ١٠].

[٨٢] وَبَعْدَهُ قَدْ أَوْرَدُوا مَا كَانَ فِي ... يَوْمِ حُنَيْنٍ ثُمَّ يَوْمِ الطَّائِفِ

«**وَبَعْدَهُ**»؛ أي: بعد فتح مكَّة في سنة ثمان.

«**قَدْ أَوْرَدُوا**»؛ أي: أهل العلم بالسِّير والمغازي في مصنَّفاتهم[3].

«**مَا كَانَ فِي يَوْمِ حُنَيْنٍ**»؛ وتسمَّى - أيضًا -: «غزوة أَوْطاس»، وهما موضعان بين مكَّة والطَّائف، فسُمِّيت الغَزوة باسم مكانها، وتسمَّى - أيضًا -: «غزوة هَوازن»؛ لأنَّهم الَّذين أتوا لِقتال رسولِ الله ﷺ[4].

«**ثُمَّ يَوْمِ الطَّائِفِ**»؛ يعني غزوة الطَّائف، وكانت في شوَّال سنة ثمان، حيثُ رجع

---

(١) رقم (٣٠٦٣).

(٢) انظر: «سيرة ابن هشام» (٢/ ١٢٢٩).

(٣) انظر: «سيرة ابن هشام» (٢/ ١٢٨٣).

(٤) «زاد المعاد» لابن القيِّم (٣/ ٤٦٥).

ـ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ من حُنين، فلم يدخُل مكَّة حتَّى أتى الطَّائف، فحاصَرهم فاستعصَوا وتمنَّعوا، ورجع ـ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ دونَ أن يكون قتال[١].

[٨٣] وبَعْدُ[٢] فِي ذِي القَعْدَةِ اعْتِمَارُه مِنَ الجِعِرَّانَةِ وَاسْتِقْرَارُه

«**وَبعْدُ فِي**» شهر «**ذِي القَعْدَةِ**» كان «**اعْتِمَارُهْ**» عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ «**مِنَ الجِعِرَّانَةِ**»؛ موضعٌ بين مكَّة والطَّائف، وهو إلى مكَّة أقرب،«**وَاسْتِقْرَارُه**» أي في الجعرانة بضع عشرة ليلة[٣] ثم اعتمر منها،ولمَّا فرغ رسولُ الله ﷺ من عمرتِه انصرف إلى المدينة، واستخلَف على مكَّة عَتَّاب بن أَسِيد[٤]، وهو دونَ العِشرين سنة[٥].

[٨٤] وبنتُهُ زَيْنَبُ مَاتَتْ ثُمَّا مَوْلِدُ إبراهيمَ فِيهَا حَتْمَا

«**وَبِنْتُهُ زَيْنَبُ مَاتَتْ**»؛أي: كان موتُ زينب بنتِ النَّبيِّ ﷺ«**ثُمَّا**» حرف عطف يقتضي الترتيب والمهلة أي وبعده بشهور«**مَوْلِدُ إِبْرَاهِيمَ**»؛ أي: ابنُ النَّبيِّ، عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ «**فِيهَا**»؛ أي:في هذه السَّنة سنة ثمانٍ من الهجرة «**حَتْمَا**»؛ أي: يقينًا.وكانت وفاتها في أولها ومولده في آخرها[٦].

---

(١) انظر: «سيرة ابن هشام» (٢/ ١٣٣٠).

(٢) في «د»: «وبعده».

(٣) انظر : ((صحيح البخاري)) حديث رقم (٤٣١٩).

(٤) انظر: «سيرة ابن هشام» (٢/ ١٣٥٢ ـ ١٣٥٣).

(٥) انظر: «زاد المعاد» (١/ ١٢٦).

(٦) انظر: «الإصابة» لابن حجر (١٣/ ٤١٥ و ١/ ٣٣٧) وانظر: «تاريخ الإسلام» للذهبي (المغازي ص٦٢١) حيث ذكر مولده بعد وفاتها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

[٨٥] ووَهَبَتْ نَوْبَتَهَا لِعَائِشَهْ سَوْدَةُ مَا دَامَتْ زَمَانًا عَائِشَهْ

أي: أنَّ أمَّ المؤمنين سَوْدة رضي الله عنها وهَبَت يومَها وليلتَها لأمِّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها؛ طلبًا لرضا النَّبيِّ ﷺ، والبقاء معه ـ صلواتُ الله وسلامُه عليه ـ، وقد روى الإمام التِّرمذي في «جامعه»(١) من حديث ابن عبَّاس رضي الله عنهما قال: خَشِيَتْ سَودة أن يطلِّقها النَّبيُّ ﷺ، فقالت: لا تطلِّقني وأمسِكني واجعَل يومي لعائشة؛ ففَعل، فنزلت: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًاۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌۗ﴾ [النِّسَاء: ١٢٨].

[٨٦] وعُمِلَ المنْبرُ غَيْرَ مُخْتَفِي وَحَجَّ عَتَّابٌ بِأَهْلِ الموْقِفِ

«وَعُمِلَ المِنْبَرُ» الَّذي كان يخطبُ عليه النَّبيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

«غَيْرَ مُخْتَفِي»؛ أي في مكان بيِّنٍ من المسجد.

قال ابنُ الأثير: «وفي سنة ثمان عُمل منبَر رسُول الله ﷺ فخطب عليه، وكان يخطُب إلى جِذع، فحنَّ الجِذع حتَّى سمع النَّاسُ صوتَه، فنزل إليه فوضَع يده عليه فسَكَن، وهو أوَّل منبر عُمل في الإسلام»(٢).

جاء في «صحيح البخاري»(٣) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنَّ امرأةً من الأنصار قالت لرسول الله ﷺ: يَا رَسُولَ الله! ألَا أجعَلُ لكَ شيئًا تقعُدُ عليه، فإنَّ لي غلامًا نجَّارًا؟ قال: «إِنْ شِئْتِ»، قال: فعمِلَت له المنبر، فلمَّا كان يومُ الجمعة؛ قَعد النَّبيُّ ﷺ على المنبر الَّذي صُنع، فصاحتِ النَّخلة الَّتي كانَ يخطُبُ عندها حتَّى كادت أنْ تنشقَّ، فنزل

---

(١) رقم (٣٠٤٠)، قال التِّرمذي: «حديث حسن غريب»، وحسَّن إسنادَه ابنُ حجر في «الإصابة» (١٣/ ٥٠٦).

(٢) «أسد الغابة» (١/ ٣٠) وانظر «تاريخ الإسلام» للذهبي (المغازي ص٦٢١).

(٣) رقم (٢٠٩٥).

النَّبيُّ ﷺ حتَّى أخذها فضمَّها إليه، فجَعلت تئِنُّ أنينَ الصَّبيِّ الَّذي يُسَكَّت حتَّى استقرَّت، قال: «**بَكَتْ عَلَى مَا كَانَتْ تَسْمَعُ مِنَ الذِّكْرِ**».

«**وَحجَّ عَتَّابٌ**» ابن أَسِيد رضي الله عنه.

قال ابنُ حجر في «الإصابة»[1]: «أسلم يومَ الفَتح، واستعمَله النَّبيُّ ـ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ على مكَّة لمَّا سار إلى حُنَين واستَمرَّ، وقيلَ: إنَّما استعمَله بعد أن رجَع من الطَّائف، وحجَّ بالنَّاس سنة الفتح»، «**بِأَهْلِ المَوْقِفِ**»، قال ابنُ كثير: «فكان أوَّل مَن حجَّ بالنَّاس من أُمراء المسلمين»[2].

[٨٧] ثُمَّ تَبُوكَ قَدْ غَزَا فِي التَّاسِعَهْ وَهَدَّ مَسْجِدَ الضِّرَارِ رَافِعَهْ[3]

«**ثُمَّ تَبُوكَ قَدْ غَزَا فِي التَّاسِعَهْ**»؛ أي أنَّ النَّبيَّ ـ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ في هـٰذه السَّنة ـ السَّنة التَّاسعة من الهجرة ـ غزا تَبوك.

قال الحافظ ابنُ كثير في «الفصول»[4]: «ولمَّا أنزل الله على رسوله: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ٢٩﴾ [سُورَةُ التَّوۡبَةِ]؛ نَدَب رسولُ الله ﷺ أهلَ المدينة، ومن حَولهم من الأعراب إلى الجهاد، وأعلمَهم بغَزو الرُّوم، وذلك في رجَب من سنَة تسع، وكان لا يُريد غَزوةً إلَّا ورَّى بغيرها، إلَّا غزوتَه هـٰذه فإنَّه صرَّح لهم بها ليتأهَّبوا؛ لشدَّة عدوِّهم وكثرتِه، وذلك حين طابت الثِّمار، وكان

---

(١) (٧/ ٦٢).

(٢) «الفصول في سيرة الرَّسول» (ص١٨٩).

(٣) في «ت»: «واقعه».

(٤) (ص١٩٠ ـ ١٩٢).

ذلك في سنة مُجدبة، فتأهَّب المسلمون لذلك...؛ ولَمَّا انتهى إلى هناك لم يلق غزوًا، ورأى أنَّ دخولهم إلى أرض الشَّام بهذه السَّنَّة يشقُّ عليهم، فعزم على الرُّجوع».

«وَهَدَّ» النبيُّ ﷺ «مَسْجِدَ الضِّرَارِ» لَمَّا رجع من تبوك.

«رَافِعَهْ»؛ أي: رافعًا الضِّرار الَّذي بُني هذا المسجد لأجلِه.

[٨٨] وَحَـجَّ بالنَّـاسِ أبُـو بَكْـرٍ وثَـمْ تَـلا بَـرَاءَةً عَلِـيٌّ وحَـتَمْ

[٨٩] أَنْ لا يَحُـجَّ مُـشْرِكٌ بَعْـدُ وَلا يَطُـوفَ عَـارٍ ذَا بِـأَمْرٍ فَعَـلا

«**وَحَجَّ بِالنَّاسِ أَبُو بَكْرٍ**»؛ أي: في السَّنة التَّاسعة من الهجرة؛ حجَّ أبو بكر رضي الله عنه بالنَّاس.

«**وثَمَّ تَلا بَرَاءَةً عَلِيٌّ**»؛ أي: وهناك تلا عليٌّ رضي الله عنه: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١﴾ [سورة التوبة]، «**وَحَتَمْ**»والحتم الأمر القاطع «**أَنْ لا يَحُجَّ مُشْرِكٌ بَعْدُ وَلا يَطُوفَ عَارٍ**»؛ لأنَّ أهلَ الشِّرك كانوا باقينَ على حالهم السَّابقة في الحجِّ.

ففي «الصَّحيحين»[(١)] من حديثِ أبي هُريرة رضي الله عنه قال: «بعثَني أبو بكر في تلك الحجَّة في مؤذِّنين بعثَهُم يومَ النَّحر يُؤذِّنون بمنًى؛ أن لا يحجَّ بعد العَام مشركٌ، ولا يطُوفَ بالبيتِ عُرْيَانٌ، ثمَّ أردفَ رسولُ الله ﷺ بعليِّ بن أبي طالب، وأمَرَه أن يؤذِّنَ ببراءة؛ قال أبو هُريرة: فأذَّن معَنا عليٌّ يومَ النَّحر في أهل منًى ببَرَاءة، وأنْ لا يحجَّ بعد العَام مشركٌ، ولا يطوفَ بالبيتِ عُريانٌ».

«**ذَا بِأَمْرٍ فَعَلا**»؛ أي: أبو بكر وعليٌّ رضي الله عنهما فعلا ذلك بأمر من النبي ﷺ.

[٩٠] وجَـاءَتِ الوُفُـودُ فِيهَـا تَتْـرَى هَـذَا وَمِـنْ نِـسَاهُ[(٢)] آلَـى شَـهْرَا

«**وجاءت الوُفُود فِيهَا**»؛ أي السَّنة التَّاسعة من الهجرة، ويسمَّى ذلك العام: «عام

---

(١) «صحيح البخاري»: رقم (٤٦٥٥)، و«صحيح مسلم»: رقم (١٣٤٧).

(٢) في «د»: «نسائه».

الوُفُود»؛ لكثرة الوُفود الَّذين جاؤوا إلى النَّبيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

«تَتْرى»؛ أَي: وفدًا بعد وفدٍ متتابعين؛ قال ابنُ كثير: «وتواترت الوفُود هـٰذه السَّنة، وما بعدها على رسُول الله ﷺ مذعنةً بالإسلام، وداخلينَ في دين الله أفواجًا»[(١)].

«هَذَا وَمِنْ نِسَاهُ آلَى شَهْرَا»؛ أي كما جاء في «الصَّحيحين»[(٢)] أنَّ النَّبيَّ ﷺ آلى من نسائه شهرًا، فلمَّا مضى تسعةٌ وعشرونَ يومًا غدَا أو راح، قيل له: إنَّك حَلفتَ أن لا تدخُلَ شهرًا، فقال: «إِنَّ الشَّهْرَ يَكُونُ تِسْعَةً وَعِشْرِينَ يَوْمًا»، ومعنى «آلى مِنْ نِساه»؛ أي: حلف ـ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ أن لا يدخُل عليهنَّ شهرًا كاملًا.

[٩١] ثُمَّ النّجاشيَّ نَعَى وصَلَّى   عَلَيْهِ مِن طَيْبَةَ نَالَ[(٣)] الفَضْلا

«**ثُمَّ النَّجَاشِيَّ**» ملك الحبشة الَّذي هاجر إليه الصَّحابة الكرام فآواهم ونصرهم، وأحسَن قِراهم.

«**نَعَى**»؛ أي: أنَّ النَّبيَّ ـ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ نعى النَّجاشيَّ؛ فأخبر أصحابَه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بوفاته.

«**وَصَلَّى عَلَيْهِ**»؛ صلاة الغائب.

«**مِنْ طَيْبَةَ نَالَ الفَضْلَا**»؛ أي: فنال هـٰذا الفضلَ من المدينة؛ حيث إنَّ النَّبيَّ ـ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ صلَّى عليه فيها، وخَلْفَه أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

وفي «الصَّحيحين»[(٤)]: «**أنَّ رسولَ الله ﷺ نعى النَّجاشيَّ في اليَوم الَّذي ماتَ فيه،**

---

(١) «الفصول» (ص١٩٦).

(٢) «صحيح البخاري»: رقم (١٩١٠)، و«مسلم»: رقم (١٠٨٥) من حديث أمِّ سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٣) في «ت»: «قال».

(٤) «صحيح البخاري»: رقم (١٢٤٥)، و«مسلم»: رقم(٩٥١).

خرج إلى المصلَّى فصَفَّ بهم، وكبَّر أربعًا».

[٩٢] وَمَاتَ إِبْرَاهِيمُ فِي العَامِ الأَخِيرْ   وَالبَجَلِيْ أَسْلَمَ وَاسْمُهُ جَرِيرْ

«**وَمَاتَ إِبْرَاهِيمُ فِي العَامِ الأَخِيرْ**» هو العام العاشر منَ الهجرة.

قال ابن حجر في «الإصابة»[1]: «إبراهيم ابنُ سيِّد البَشَر محمَّد بن عبد الله بن عبد المطَّلب بن هاشم، أمُّه ماريَّة القبطيَّة، ولدته في ذي الحجَّة سنةَ ثمانٍ...، ومات سنة عشرٍ».

وقوله: «**وَالبَجَلِيْ**»؛ بسكون الياء؛ مراعاةً للوزن.

«**أَسْلَمَ وَاسْمُهُ جَرِيرْ**»؛ ابن عبد الله البَجَلي الصَّحابي الجليل، وكان إسلامُه في هٰذه السَّنة، جزم الواقدي بأنَّه وَفَد على النَّبيِّ ﷺ في شَهر رمضانَ سنة عشر، وأنَّ النَّبيَّ ـ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ بعثَه إلى ذي الخَلَصَة[2].

[٩٣] وَحَجَّ حَجَّةَ الوَدَاعِ قَارِنَا   وَوَقَفَ الجُمْعَةَ فِيهَا آمِنَا

«وحجَّ» النَّبيُّ ـ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ في هٰذا العام، العام الأخير العاشر من الهجرة.

«**حجَّة الوَدَاع**»؛ وسُمِّيت هذه الحجَّة «حجَّة الوداع»؛ لأنَّه ـ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ ودَّع فيها أصحابَه، وقال فيها: «**فَإِنِّي لَا أَدْرِي؛ لَعَلِّي لَا أَحُجُّ بَعْدَ حَجَّتِي هَذِهِ**»[3]، وكان حجُّه ـ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ «**قَارِنًا**»؛ على الصَّحيح من أقوال أهل العلم، ومعنى «قارنًا»؛ أي: أنَّه قَرن بينَ الحجِّ والعُمرة فلبَّى بهما معًا، وساق ـ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ هَديَهُ.

---

(١) (١/ ٣٣٧).

(٢) المرجع السَّابق (٢/ ١٩٠ ـ ١٩١).

(٣) أخرجه مسلم برقم (١٢٩٧) من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

قال ابنُ القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ في «الزَّاد»[١]: «إنَّه أحرَم قارنًا لبضعَةٍ وعشرينَ حديثًا صحيحةً صريحةً في ذلك»، فساقَها، ثمَّ بيَّن مَن أخطأ في ذلك.

«**وَوَقَفَ الجُمْعَةَ فِيهَا آمِنًا**»؛ أي: أنَّ الوَقفَةَ في تلك السَّنة كانت يوم الجمعة.

جاء في «الصَّحيحين»[٢] عن عُمَر بن الخطَّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أنَّ رجلًا من اليَهود قال له: يا أمير المؤمنين! آيةٌ في كتابكم تقرؤونها لو علينَا معشَر اليَهود نزَلت؛ لاتَّخذنا ذلك اليوم عيدًا! قال: أيُّ آيةٍ؟ قال: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، قال عُمَر: «قد عرَفْنا ذلكَ اليوم، والمكان الَّذي نَزلت فيه على النَّبيِّ ﷺ، وهو قائمٌ بعرَفة يوم جمعة».

[٩٤] وَأُنْزِلَتْ فِي اليَوْمِ بُشْرَى لَكُمُ ... اليَومَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمُ

أي: في ذلك اليوم عشيَّة عرفة نزلت هٰذه الآية الكريمة: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾، كما جاء في حديث عُمَر ابن الخطَّاب المخرَّج في «الصَّحيحين» المتقدِّم ذكره، «**بُشْرى لكُمُ**» فهي بشارةٌ بشَّرهُم بها في ذلك اليوم حيث أكمل تعالى لهم دينَهم، فلا يحتاجون إلى دينٍ غيره، ولا إلى نبيٍّ غير نبيِّهم، صلواتُ الله وسلامُه عليه.

[٩٥] وَمَوْتُ رَيْحانَةَ بَعْدَ عَوْدِهِ ... وَالتِّسْعُ عِشْنَ[٣] مُدَّةً مِنْ بَعْدِهِ

«**وَمَوْتُ رَيْحَانَةَ**» رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا «**بَعْدَ عَوْدِهِ**»؛ أي: بعد عَوْد النَّبيِّ ـ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ

---

(١) (٢/ ١٠٧ ـ ١٢٢).

(٢) «صحيح البخاري»: رقم (٤٥)، و«مسلم»: رقم (٣٠١٧).

(٣) في «ت»: «عشر».

منَ الحجِّ، وسبق بيانُ أنَّها ممَّا أفاء الله عليه من سبايا بني قُريظة، وأنَّها من سَراريه وإمائه، وليسَت من أزواجِه، صلواتُ الله وسلامُه عليه.

وقد قال الحافظ ابنُ حجر في «الإصابة»[1]: «وماتت قبلَ وفاةِ النَّبيِّ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - بستَّة عشَر شهرًا، وقيل: لمَّا رجع من حجَّة الوَداع»، وهو الَّذي اختاره النَّاظم رَحِمَهُ اللَّهُ.

«**وَالتِّسْعُ**» من أزواج النَّبيِّ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - «**عِشْنَ مُدَّةً مِنْ بَعْدِه**»؛ أي: من بعدِ النَّبيِّ ﷺ، قال ابنُ القيِّم في كتابه «الزَّاد»[2]: «ولا خلافَ أنَّ النَّبيَّ ﷺ توفِّيَ عن تسع، وكان يقسِمُ منهنَّ لثمانٍ»، أي: عدا سَوْدَة وهي زوجٌ له؛ ولٰكنَّها وهبَت ليلتَها لعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

[٩٦] وَيَـوْمَ الاثْنَـيْنِ قَـضَى يَقِينَـا ... إذْ أَكْمَـلَ الـثَّلاثَ والـسِّتِّينَا

[٩٧] والـدَّفنُ فِـي بَيْـتِ ابْنَـةِ الـصِّدِّيقِ ... فِـي مَوْضِـعِ الوَفَـاةِ عَـن تَحْقيـقِ

[٩٨] وَمُـدَّةُ التَّمْـرِيضِ خُمْـسَا شَـهْرِ ... وَقِيـلَ بَـلْ ثُلْـثٌ[3] وَخُمْـسٌ فَـادْرِي

«**وَيَوْمَ الاِثْنَيْنِ قَضَى**»؛ أي: توفِّي - صلواتُ الله وسلامُه عليه - في يوم الاثنين «**يَقِينَا**» فهو اليومُ الَّذي وُلد فيه - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -، واليومُ الَّذي بُعث فيه، واليومُ الَّذي توفِّي فيه؛ فقُبض ضُحَى يوم الاثنين من شَهر ربيع الأوَّل، روى الشَّيخان[4] عن أنس بن مالك: «أنَّ أبا بكر كان يصلِّي لهم في وَجَع رسولِ الله ﷺ الَّذي توفِّيَ فيه، حتَّى

---

(١) (١٣/ ٤٠٢-٤٠٣).

(٢) (١/ ١١٤).

(٣) في «د»، «ت»: «ثلاث».

(٤) «صحيح البخاري»: رقم (٤٤٤٨)، ومسلم: رقم (٤١٩)، والسِّياق له.

إذا كان يومُ الاثنين وهُم صفوفٌ في الصَّلاة، كشَفَ رسولُ الله ﷺ ستر الحُجْرَة، فنظر إلينا وهُو قائمٌ كأنَّ وجهَه ورقةُ مُصْحَفٍ، ثمَّ تبسَّم رسولُ الله ﷺ ضاحكًا، قال: فبُهِتْنا ونحنُ في الصَّلاة منْ فَرحٍ بخُروج رسولِ الله ﷺ، ونكَصَ أبو بكر على عقِبَيْه لِيَصِل الصَّفَّ، وظنَّ أنَّ رسولَ الله ﷺ خارجٌ للصَّلاة، فأشار إليهم رسولُ الله ﷺ بيدِه: «**أَنْ أَتِمُّوا صَلَاتَكُمْ**»، قال: ثمَّ دخَل رسولُ الله ﷺ فأرخَى السِّتر، قال: فتوفِّيَ رسولُ الله ﷺ مِن يومِه ذلكَ».

«**إِذْ أَكْمَلَ الثَّلَاثَ وَالسِّتِّينَا**»؛ أي: أنَّه ـ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ توفِّي عن ثلاثٍ وستِّين سنةً ﷺ، جاء في «الصَّحيحين»[1] عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «أنَّ النَّبيَّ ﷺ تُوفي وهو ابنُ ثلاث وستِّين».

وجاء في «صحيح مسلم»[2] عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «قُبِض رسولُ الله ﷺ وهو ابنُ ثلاثٍ وستِّين، وأبو بكر وهو ابن ثلاثٍ وستِّين، وعُمَر وهو ابنُ ثلاثٍ وستِّين».

«**وَالدَّفْنُ فِي بَيْتِ ابْنَةِ الصِّدِّيقِ**»؛ أي: أنَّه ـ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ دُفن في بيت عائشة في حُجرتِها.

«**فِي مَوْضِعِ الوَفَاةِ**»؛ لأنَّه ثبتَ عنه ـ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ في الحديث أنَّه قال: «**لَنْ يُقْبَرَ نَبِيٌّ إِلَّا حَيْثُ يَمُوتُ**»[3]، فدُفن فيه «**عَنْ تَحْقِيقِ**»؛ أي: عن علمٍ محقَّق، ودليلٍ

---

(١) «صحيح البخاري»: رقم (٣٥٣٦، ٤٤٦٦)، و«مسلم»: رقم (٢٣٤٩).
(٢) رقم (٢٣٤٨).
(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٧)؛ من حديث أبي بكر الصِّدِّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو في «صحيح الجامع» برقم (٥٢٠١).

بيِّنٍ، جاء في «الصَّحيحين»[١] عن عائشة رضي الله عنها قالت: إنْ كان رسولُ الله ﷺ ليتعذَّر في مرضِه: «أَيْنَ أَنَا اليَوْم؟ أَيْنَ أَنَا غَدًا؟»؛ استبطاءً ليوم عائشةَ، فلمَّا كان يومي قبضَه اللهُ بين سَحْري ونَحْري، ودُفن في بيتي».

وروى التِّرمذي في «الشَّمائل»، والنَّسائي في «السُّنن الكبرى»[٢] بسند صحيح عن سالم بن عُبيد ـ وكانَ من أصحاب الصُّفَّة ـ قال: «أُغْمِيَ عَلى رَسُولِ الله ﷺ فِي مَرَضِهِ فَأَفَاقَ...» فذكر حديثًا طويلًا، وفيه قول النَّاس لأبي بكر: «يا صاحبَ رسولِ الله! أَيُدْفَنُ رسولُ الله ﷺ؟ قال: نَعم؛ قالوا: أينَ؟ قال: في المكان الَّذي قَبضَ اللهُ فيه روحَه؛ فإنَّ اللهَ لم يقبِضْ روحَه إلَّا في مكانٍ طيِّبٍ، فعلِمُوا أنْ قَد صَدَق».

«**وَمُدَّةُ التَّمْرِيضِ**»؛ يعني: مدَّة مرض النَّبيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الذي توفي فيه.

«**خُمْسَا شَهْرٍ**»؛ خُمس الشَّهر: ستَّة أيَّام، وخُمساه اثنا عشر يومًا، هـٰذا قول. «**وَقِيلَ: بَلْ ثُلْثٌ**»؛ ثُلث الشَّهر: عشرة أيَّام، «**وخُمْسٌ**»؛ أي: خمس الشهر ستة أيام؛ ومجموع ذلك ستة عشر يومًا. ولعل مراده بالخُمس أي تقريباً.

قال ابنُ كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في «الفُصول»[٣]: «فمكث وَجِعًا اثْني عشَر يومًا، وقيل: أربعةَ عشر يومًا».

وقال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري»[٤]: «واختلف في مدة مرضه فالأكثر على أنها ثلاثة عشر يوماً وقيل بزيادة يوم وقيل بنقصه ... وقيل عشرة أيام».

«**فَادْرِي**»؛ أي: فاعلَمْ ذلك، بإشباع الياء.

---

(١) «صحيح البخاري»: رقم (١٣٨٩)، و«صحيح مسلم»: رقم (٢٤٤٣).

(٢) «الشَّمائل»: رقم (٣٩٧)، و«السُّنن الكبرى»: رقم (٧١١٩).

(٣) (ص٢٠١).

(٤) (٨/١٢٩).

[٩٩] وتَمَّـتِ الأُرْجُـوزَةُ الميئيَّـهْ ... فِي ذِكْرِ حَـالِ أَشْرَفِ البَرِيَّـهْ
[١٠٠] صَـلَّى عَلَيْـهِ اللهُ رَبِّـي وَعَلَى ... أَصْحَابِه وَآلِـه وَمَـنْ تَـلا

«وتَمَّتِ الأُرْجُوزَةُ المِيئِيَّهْ»؛ لأنَّ عَدد أبياتِها مائةُ بيت، ولهٰذا سُمِّيت الأرجُوزة الميئيَّة.

«فِي ذِكْرِ حَالِ أَشْرَفِ البَرِيَّهْ»؛ أي: النَّبيِّ الكريم ـ صَلَوَاتُ الله وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ ـ، وهي أرجوزة بديعةٌ حاويةٌ لخلاصَةٍ منتقاةٍ لسِيرة النَّبيِّ الكريم ـ صَلَوَاتُ الله وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ ـ، مع عنايةٍ دقيقةٍ عند سَرد أحداثِ السِّيرة بذكر التَّواريخ.

«صَلَّى عَلَيْهِ اللهُ رَبِّي»؛ خَتم هـٰذه المنظومةَ الطَّيِّبَةَ النَّافعةَ بالصَّلاة على رسُول الله صَلَوَاتُ الله وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ.

«وَعَلَى أَصْحَابِهِ وَآلِهِ»؛ الكرام رَضِيَ اللهُ عَنْهُم.

«وَمَنْ تَلاَ»؛ أي: ومَن تَبعهم بإحسان إلى يوم الدِّين.

وأسألُ الله الكريمَ ربَّ العرش العظيم أن يجزيَ النَّاظمَ الإمامَ ابنَ أبي العزِّ الحنفي رَحِمَهُ اللهُ خيرَ الجزاء على هـٰذا النَّظم البديع، وأن يثقِّل به موازينَه يومَ لقاء الله عَزَّ وَجَلَّ، وأن يُعليَ به درجاتِه، وأن ينفعَنا جميعًا بما علَّمنا، وأن يجعلَ ما تعلَّمناه حجَّةً لنا لا علينا، وأن يهدينا إليه صراطًا مستقيمًا.

«اللَّهمَّ إنَّا نسألك إيمانًا دائمًا، وعلمًا نافعًا، وهديًا قيِّمًا»[1]، والتَّوفيق لما تحبُّه وترضاه من سديد الأقوال، وصالح الأعمال؛ والله أعلم، وصلَّى الله وسلَّم على عبده ورسوله نبيِّنا محمَّد وآله وصحبه أجمعين.

---

(١) روى هذا الدُّعاء ابنُ أبي شَيبة في«الإيمان»: رقم (١٠٦) عن معاوية بن قُرَّة قال: كان أبو الدَّرداء رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يقول: فذكره؛ قال مُعاوية: «فنَرى أنَّ منَ الإيمان إيماناً ليس بدائم، ومنَ العِلم علماً لا ينفَع، ومنَ الهدي هدياً ليس بقيِّم»؛ والله المستَعان.

الفهرس



مطابع الحميضي هاتف: 2130130 فاكس: 4387817